

SI

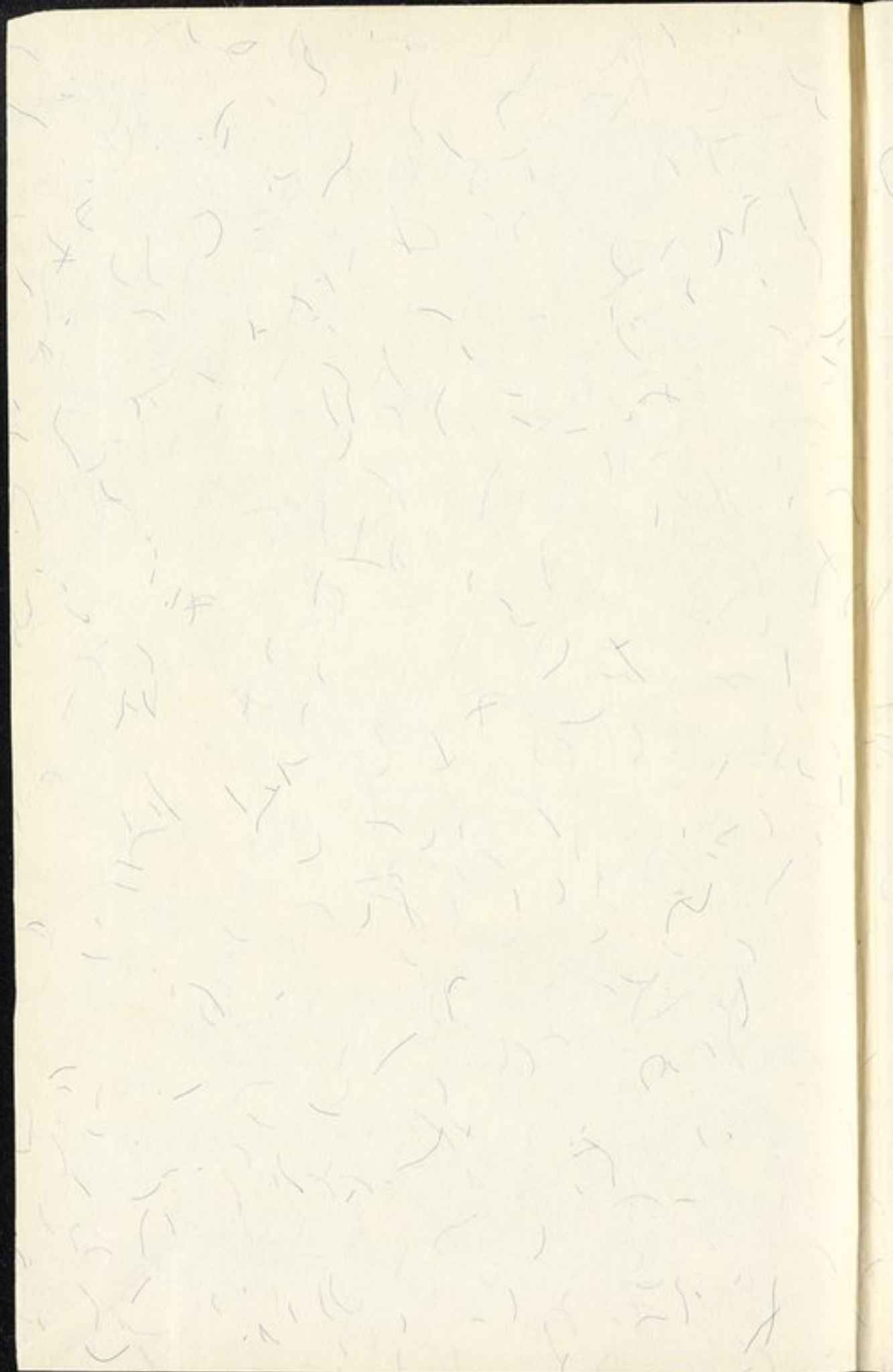
1

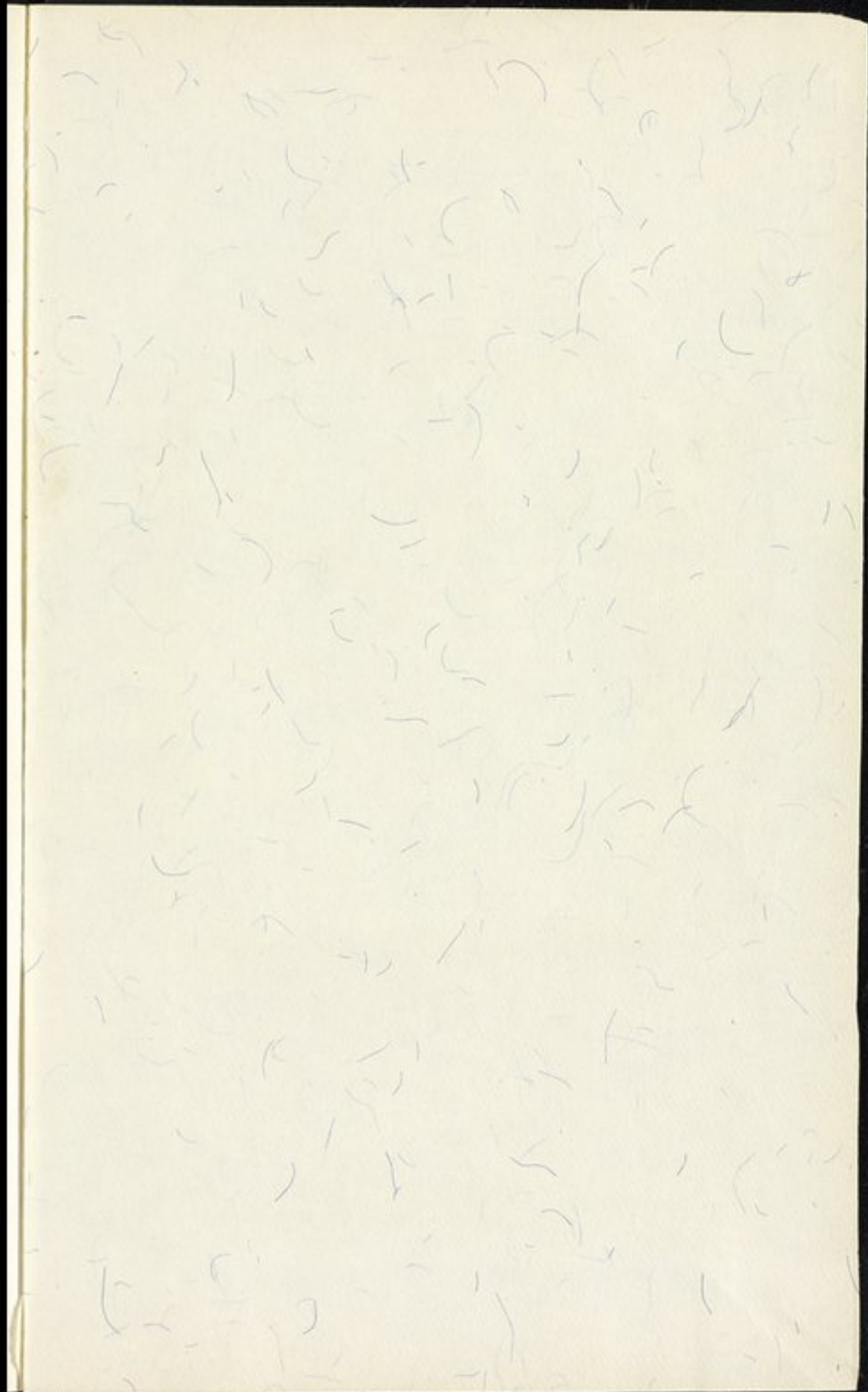


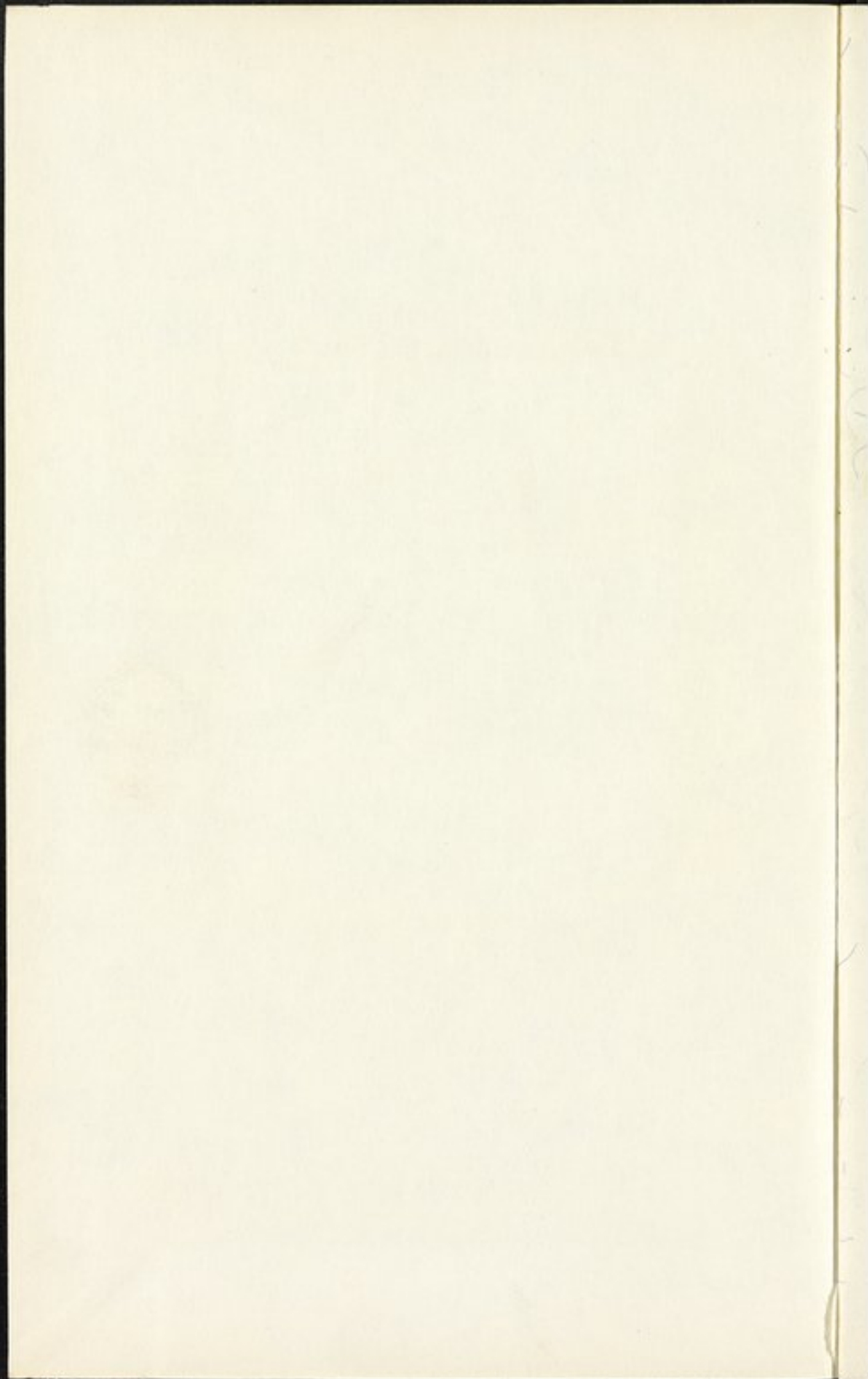
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

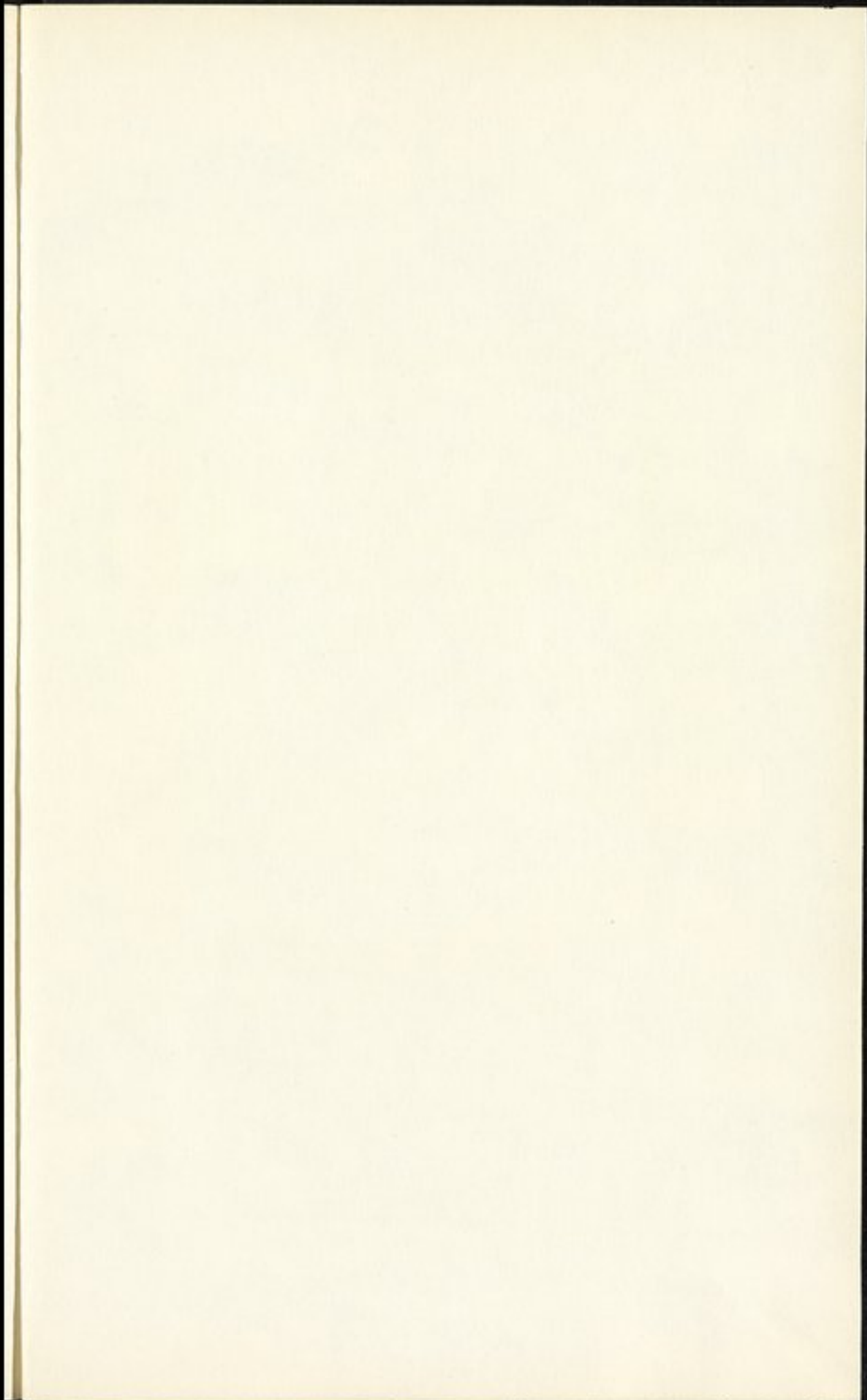


GENERAL LIBRARY









الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

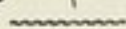
الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى



الدولة السعدية

- القسم الثاني -



الجزء السادس



تحقيق وتعليق ولدى المؤلف :

الاستاذ جعفر الناصري - والاستاذ محمد الناصري



حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف



دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥

9164
SL 17

DT
314
.5252
v.6

Sub

58647 T

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة السعدية

القسم الثاني

الخبر عن دولة السلطان أبي المعالي زيدان بن احمد المنصور
رحمه الله تعالى

لما توفي المنصور رحمه الله وفرغ الناس من دفنه اجتمع أهل الحل
والعقد من اعيان فاس وكبرائها والجمهور من جيش المنصور على بيعة ولده
زيدان ، وقالوا: ان المنصور استخلفه في حياته ومات في حجره ، وكان ممن
تصدى لذلك القاضي : قاضي الجماعة بفاس ابو القاسم بن ابي النعيم ،
والقاضي ابو الحسن علي بن عمران السلاسي ، والاستاذ ابو عبد الله محمد
الشاوي ، والشيخ النظار ابو عبد الله محمد بن قاسم القصار وغيرهم .
ويحكى ان القاضي ابن ابي النعيم قام في الناس خطيبا وقال : اما بعد ،
السلام عليكم ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات اجتمع الناس
على ابي بكر رضى الله عنه ، ونحن قد مات مولانا أحمد وهذا ولده مولانا
زيدان اولى بالملك من اخوته . فبايعه الحاضرون يوم الاثنين السادس عشر من
ربيع الاول سنة اثنتى عشرة والالف (*) . قالوا : وكان زيدان لما توفى
والده كتم موته وبعث جماعة للقبض على اخيه الشيخ المسجون بمكناسة

(*) قال المؤرخ المجهول: بوبع زيدان بعد وفاة ابيه وقبل دفنه، ونسب الخطبة الانية
للقصار وزاد فيها بعد قوله اجتمع الناس على ابي بكر ما نصه: فبايعوا واخذوا في
تجهيز رسول الله بعد ذلك ونحن كذلك نفعل. واظن هذه الرواية اقرب الى الواقع لان
القصد بالخطبة هو تبين السنة في تقديم المبايعة على الدفن والا كانت من محض الاخبار بالمعلوم

فمنعهم من ذلك الباشا جوذر كبير جيش الاندلس وحمل الشيخ موثقا الى مراکش حتى دفعه الى اخيه ابي فارس وكان شقيقا له ، فلم يزل مسجوناً عنده الى ان كان من امره ما ياتى كذا قال بعضهم . وقال فى شرح «زهرة الشماريخ» : ان زيدان لما اشتغل بدفن والده احتال القائد ابو العباس أحمد بن منصور العليج فذهب بنصف المحلة الى مراکش نازعا عن زيدان الى ابي فارس ومر فى طريقه بمكناسة فاخرج الشيخ من اعتقاله واحتمله معه الى ابي فارس فسجنه فلم يزل مسجوناً عنده الى ان كان من امره ما نذكره والله تعالى أعلم

انحراف أهل مراکش عن طاعة زيدان وبيعتهم لابي فارس وما نشأ عن ذلك من الفتنة

كان المنصور رحمه الله قد فرق عمالات المغرب على اولاده كما مر ، فاستعمل الشيخ على فاس والغرب وولاه عهده ، واستعمل زيدان على تادلا واعمالها ، واستخلف ، عند نهوضه الى فاس ، ابنه ابا فارس على مراکش واعمالها وكان يكتبه بما مر بعضه من الرسائل ، فلما اتصل بأهل مراکش وفاة المنصور وكتب اليهم أهل فاس بمبايعتهم لزيدان امتنعوا وبايعوا ابا فارس لكونه خليفة ابيه بدار ملكه التى هى مراکش ولان جل الخاصة من حاشية ابيه كان يميل الى ابي فارس لان زيدان كان متبذرا عنهم بتادلا سائر ايام ابيه فلم يكن لهم به كثير العمام ولا مزيد استئناس ، مع أنه كان جديرا بالامر لعلمه وادبه وكمال مروءته رحمه الله الا ان السعد لم يساعده وقد قيل فى المثل قديما : « قاتل بسعد والا فذع » ولما شق أهل مراکش العصا على زيدان كثر فى ذلك القيل والقال حتى صدرت فتوى من قاضى فاس ابن ابي النعيم ، ومفتيها ابي عبد الله القصار تضمن التصريح بحديث : « اذا بويج جليفتين فاقتلوا الاخر منهما » وكانت بيعة

أبى فارس بمراكش يوم الجمعة أواخر ربيع الاول من سنة اثنتى عشرة
والف ، وهو شقيق الشيخ المأمون ، امهما ام ولد اسمها الجوهر ، ويقال
الخيزران ، واسم ابى فارس هذا : عبد الله وتلقب بالوائق بالله ، وكان
اكولا عظيم البطن مصابا بمس الجن ويقال : انه لذلك ابنتى المسجد الجامع
بجوار ضريح الشيخ ابى العباس السبتي وشيد مناره وشحن الخزانة
التى بقبلى الجامع المذكور بمنتخب الكتب ونفيس الدفاتر كل ذلك رجاء
ان تعود عليه بركة ذلك الشيخ بالبرء من تلك العلة ، وكان مع ذلك يميل
الى المروءة والرفق وحسن السيرة رحمه الله

نهوض السلطان زيدان لحرب أبى فارس وانهزامه بام الربيع ثم فرارا الى تلمسان

لما بايع اهل مراكش ابا فارس بن المنصور عزم زيدان على النهوض
اليه فخرج من فاس يوم بلاد الحوز ، واتصل الخبر بابى فارس فجهز لقتاله
جيشا كئيفا وامر عليهم ولده عبد الملك الى نظر الباشا جوذر ، فقيل له : ان
زيدان رجل شجاع عارف بمكايد الحرب وخذعه وولدك عبد الملك لا يقدر
على مقاومته فلو سرحت أخاك الشيخ لقتاله كان اقرب للرأى لان اهل
الغرب لا يقاتلونه لانه كان خليفة عليهم مدة فهم آس به من زيدان ،
فأطلق أبو فارس اخاه المأمون من ثفاف السجن واخذ عليه العهد
والمواثيق على النصح والطاعة وعدم شق العصا ، ثم سرحه فى ستمائة من
جيش المنفرقة الذين كان المنصور جمعهم ليعث بهم الى كاغو من أعمال
السودان ، وقال له ولاصحابه : « جدوا السير الليلة كى تصبحوا بمحلة
جوذر على وادى ام الربيع » فلما انتهى الشيخ الى المحلة المذكورة وعلم
الناس به اهرعوا اليه واستبشروا بمقدمه . ثم كانت الملاقاة بينه وبين
السلطان زيدان بموضع يقال له : حواتة عند ام الربيع ففر عن زيدان أكثر

جيشه الى المأمون وحنوا الى سالف عهده وقديم صحبته ، فانهزم زيدان لذلك ورجع ادراجه الى فاس فتحصن بها وكان ابو فارس قد تقدم الى اصحابه في القبض على الشيخ متى وقعت الهزيمة على زيدان فلما فر زيدان انزل الشيخ فيمن انضم اليه من جيش أهل الغرب وامتنع على اصحاب ابي فارس فلم يقدروا منه على شيء وانتعش امره واشتدت شوكة ثم سار الى فاس يقفوا أثر السلطان زيدان ولما اتصل بزيدان خبر مجيئه اليه راود أهل فاس على القيام معه في الحصار والذب عنه والوفاء بطاعته التي هي مقتضى بيعتهم التي أعطوا بها صفقتهم عن رضى منهم ، فامتنعوا عليه وقلبوا له ظهر المجن وأعلنوا بنصر الشيخ وبيعتهم لقديم صحبتهم له . ولما ايس زيدان من نصرهم وقد ارهقه الشيخ في جموعه خرج من فاس بحشمه وثقله ناجيا بنفسه ، وتبعه جمع عظيم من اصحاب الشيخ فلم يقدروا منه على شيء ، وذهب الى تلمسان فأقام بها الى ان كان من امره ما نذكره

واما الشيخ فانه لما وصل الى فاس تلقاه اهلها ذكورا واناثا واطهروا الفرح بمقدمه فدخلها ودعا لنفسه فاجيب واستبد بملكها ، ثم أمر جيش أهل مراکش ان يرجعوا الى بلادهم فانقلبوا الى صاحبهم مخفقين وكان الشيخ لما تم غرضه من الاستبداد بالامر والانفراد بالسلطنة دعا بالشيخين الفقيهين قاضي الجماعة ابي القاسم بن ابي النعيم ، ومفتيها ابي عبد الله محمد بن قاسم القصار فلامهما على مبايعة زيدان وقولهما فيه وفي أخيه ابي فارس : « ان اولاد الاماء لا يتقدمون في الامر على اولاد الحرائر . » وكان ابو فارس والشيخ ولدى امة اسمها : الحيزران كما مر ، وزيدان امه حرة من الشبانات ، وعزم ان ينكل بهما ثم بعث بهما مع جيش مراکش الى أخيه ابي فارس ليرى فيهما رأيه فاما الشيخ القصار فتوفى رحمه الله على مقربة من مراکش بزواوية الشيخ ابن ساسي وحمل الى مراکش فدفن بقبة القاضي عياض وذلك في اواسط سنة اثنتى عشرة الف . وأما القاضي ابو القاسم فاجتمع بأبي فارس فقبل عذره وصفح عنه

ورده مكرما الى فاس هكذا ذكره بعضهم* وقيل : ان الذي بعث بالشيخ
القمصار الى مراکش هو السلطان زيدان على وجه يخالف هذا والله أعلم ؛

نهوض عبد الله بن الشيخ لحرب عمه أبي فارس واستيلاؤه على مراکش

ثم ان الشيخ المتغلب على فاس دعا بتجار اهلها فاستسلف منهم مالا
كثيرا واظهر من الظلم وسوء السيرة وخبث السريرة ما هو شهير به ،
ثم تبع قواد ابيه فنهب ذخائرهم واستصفى اموالهم وعذب من اخفى من
ذلك شيئا منهم ، ثم جهز جيشا لقتال اخيه أبي فارس بمراكش ، وكان
عدد الجيش نحو الثمانية آلاف ، وامر عليه ولده عبد الله فسار بجيوشه
فوجد ابا فارس بمحلته في موضع يقال له : اكلميم ، ويقال : في مرس
الرماد فوقعت الهزيمة على ابي فارس وقتل نحو المائة من اصحابه ونهبت
محلته ، وفر هو بنفسه الى مسفيوة ، ودخل عبد الله بن الشيخ مراکش
فأباحها لجيشه فنهبت دورها واستبيحت محارمها واشتغل هو بالفساد «ومن
يشابه أباه فما ظلم ، حتى حكى انه زنى بجواري جده المنصور واستمتع
بحفائده ، واكل رمضان وشرب الخمر فيه جهارا وعكف على اللذات والقي
جلباب الحياء عن وجهه ، وكان دخوله مراکش في العشرين من شعبان
سنة خمس عشرة وألف*

(*) وكانت عاقبة أمره القتل كما سيذكره المؤلف

(*) ثم فر منها الى السوس فأقام عند حاجب ابيه عبد العزيز بن سعيدالوز كيتى كما

سيذكره المؤلف

مجيء السلطان زيدان الى المغرب واستيلاؤه على مراكش

وطرده عبد الله بن الشيخ عنها

كان السلطان زيدان لما فر من فاس الى تلمسان كما مر أقام بها مدة وكان قد بعث الى ترك الجزائر يستمدهم ويستعديهم على اخويه فابطأوا عليه وطال عليه انتظارهم ، فلما يئس منهم توجه الى سجلماسة فدخلها من غير قتال ولا محاربة ، ثم انتقل عنها الى درعة ومنها الى السوس ، فكذب اليه أهل مراكش ، وقد ندموا على ما فرطوا فيه من امره والدخول في طاعته ، أن ياتيهم ولو وحده ، فتوجه اليهم ودخل عليهم ليلا فلم يفجأ عبد الله بن الشيخ الا نداء أهل مراكش بنصر السلطان زيدان وتحزبوا معه وتقدموا الى قائدهم عبد الله اعراس الذي ولاء عليهم الشيخ فقتلوه ، وخرج عبد الله فارا بجموعه من اهل فاس والمغرب ، فحاصروهم أهل مراكش بين الاسوار والجنان ، وقتلوا من اصحاب عبد الله بموضع يعرف بجنان بكار نحو الخمسة آلاف وخمسمائة ، وامر زيدان بقتل كل من تخلف عن عبد الله من جيشه ، فاتى القتل على جميع من وجد بمراكش من جيش اهل فاس ، وذلك في اواخر سنة خمس عشرة الف ، وفر عبد الله بن الشيخ ناجيا بنفسه حتى قدم على ابيه بفاس في اسوأ الحالات ، مفلول العساكر مهزوم الجموع معاتزا عن جيش النصر بجيش الدموع



عود عبد الله بن الشيخ الى مراكش واستيلاءه عليها وطرده لزيدان عنها

لما قدم عبد الله بن الشيخ على ابيه بفاس سليبا مهزوما قامت قيامته ورأى ان يهيبه عسكرا آخر ويجدد جمعا ثانيا فلم يجد لذلك طاقة لفراغ يده من المال وقلة جبايته ، واستحى ان يستسلف من التجار لانه كان استسلف منهم فلم يرد لهم شيئا : ولما اعته الحيلة رجع على قواده فقلب لهم ظهر المجن ونهب اموالهم واستلب ذخائرهم وصار يفرقها على التجار ، فاجتمع له من ذلك اموال عريضة فرقها في جيشه ، وتهاى عبد الله للمسير الى مراكش ، وكان أهل فاس قد غضبوا لمن قتل من اخوانهم بها ونادوا بأخذ ثارهم حتى ان بعضهم خرج مع عبد الله من غير أخذ مرتب ولا جامكية ، فخرج عبد الله بجموع عديدة وجيوش حفيظة ، ولما بلغ خبره للسلطان زيدان بعث اليه العليج مصطفى باشا في جيوش كثيرة . قال في شرح « زهرة السماريخ » : كان بعث مصطفى باشا وخروجه من مراكش في شعبان سنة ست عشرة والـ الف ، فالتقى الجمعان بموضع يقال له تافلقت (*) على طريق سلا فهزم مصطفى باشا وقتل من جيش مراكش نحو التسعة آلاف وبعث الشيخ جماعة من عدول فاس الى موضع المعركة حتى أحصوا القتلى ، ثم توجه عبد الله الى مراكش فبرز اليه أهلها في ستة وثلاثين ألف مقاتل والتقى الجمعان بموضع يقال له : رأس العين ، فانهزم أهل مراكش ، وتقدم عبد الله بن الشيخ فاتحهما بجيشه ، وفر زيدان الى المعامل المنبعا والجبال الشامخة فبقى متقلا هنالك الى أن كان من أمره ما نذكره

(*) هي المعروفة بتيفلت اليوم بارض زمور

ثورة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ وانقراض أمره

وعود زيدان الى مراكش



لما دخل عبد الله بن الشيخ مراكش واستولى عليها فعل فيها أعظم من فعلته الاولى ، وهربت شردمة من أهل مراكش الى جبل جيليز واجتمع هنالك منهم عصابة من أهل النجدة والحمية واتفق رأيهم على ان يقدموا للخلافة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ ، وكان رجلا خيرا دينا صينا وقورا فبايعه أهل مراكش هنالك ، والتفوا عليه ، فخرج عبد الله بن الشيخ لقتال من بجبل جيليز والقبض على أميرهم المذكور . ولما التقى الجمعان انهزم عبد الله وولى أصحابه الادبار فخرج من مراكش مهزوما سادس شوال سنة ست عشرة وألف ، وترك محله وانقاضه وعدته وجلا لجيش ، واخذ على طريق تامسنا وامتحن أصحابه في ذهابهم حتى كان مد القمح عندهم بثلاثين أوقية والحبزة من نصف رطل بربع منقال ، ولم يزل أصحابه ينتهبون ما مروا عليه من الخيام والعمود ويسبون البنات الى أن وصلوا الى فاس في الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة ، وأما محمد بن عبد المؤمن فانه لما دخل مراكش واستولى عليها صفح عن الذين تخلفوا بها من أهل الغرب من جيش عبد الله بن الشيخ ، وأعطاهم الراتب فلم يعجب ذلك أهل مراكش ، وتقموا عليه ابقاءه عليهم ، وكانوا نحو الالف ونصف ، فكتبوا سرا الى السلطان زيدان بالجبل فاتاهم وخيم نازلا بظاهر البلد ، فخرج محمد بن عبد المؤمن الى لقائه فانهزم ابن عبد المؤمن ودخل السلطان زيدان مراكش واستولى عليها وصفح هو ايضا عن الفئة المتخلفة عن عبد الله بن الشيخ . وذكر في شرح «زهرة الشماريخ» : ان هذا الناصر بجبل جيليز اسمه أبو حسون من أولاد السلطان ابي العباس الاعرج والله أعلم ، ولعل هذا الصواب بدليل ما يأتي في رسالة زيدان ان شاء الله

خروج جالية الاندلس من غرناطة وأعمالها الى بلاد المغرب وغيرها



قد قدمنا ما كان من استيلاء الطاغية صاحب قشتالة على غرناطة واعمالها سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، وان أهل غرناطة التزموا طاعته والبقاء تحت حكمه على شروط اشترطوها عليه قد ذكرنا بعضها فيما سلف ، وان عدو الدين قد نقض تلك الشروط عروة عروة ، وكان أهل الاندلس من أجل ذلك كثيرا ما يهاجرون من بلاد الكفر الى بلاد الاسلام أثناء هذه المدة السالفة ، غير أن عامتهم كانوا قد تخلقوا بأخلاق العجم وأثر فيهم ذلك اثرا ظاهرا لطول صحبتهم لهم ونشأة أعقابهم بين أظهرهم ، فكانت تصدر منهم في بعض الاحيان مقالات قبيحة في حق ولاية المسلمين من أهل المغرب وعامتهم ، لا سيما اذا نالهم منهم بعض الظلم ، ولقد رأيت في كتاب « المعيار » وغيره : سوالات وفتاوى صدرت من علماء المغرب في حق هؤلاء الصنف منهم ، وكان الملوك السعديون قد جمعوا منهم جندا كبيرا ، وبهم فتح المنصور اقليم السودان ، واستمر الحال على ذلك الى أن كانت سنة ست عشرة وألف فهاجر جميع من لم يتنصر منهم الى بلاد المغرب وغيرها .

قال في « نفع الطيب » : كان النصارى بالاندلس قد شددوا على المسلمين بها في التنصر حتى أنهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعواهم من حمل السكنين الصغير فضلا عن غيرها من الحديد ، وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا ولم يقيض الله لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم أعوام سبعة عشرة وألف ، فخرجت ألوف بفاس ، وألوف آخر بتلمسان ، ووهران ، وخرج جمهورهم بتونس ، فسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم ، وهكذا كان بلاد تلمسان وفاس ، ونجا القليل منهم من هذه المضرة . وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد قد عمروا قراها الحالية وبلادها . اهـ

وقال صاحب «الخلاصة النقية في امراء افريقية» ما نصه : « وفي سنة ست عشرة وألف قدمت الامم الجالية من جزيرة الاندلس فافسح لهم صاحب تونس عثمان داي كفه وأباح لهم بناء القرى في مملكته فبنوا نحو العشرين قرية واغتبط بهم أهل الحضرة وتعلموا حرفهم وقلدوا ترفهم ، اه ثم قال في «نفع الطيب» « وكذلك خرج طوائف منهم بتطاوين وسلا والجزائر ، ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى منهم عسكريا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن ، وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات والدور ، وهم الآن بهذا الحال ، ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام ، اه كلام نفع الطيب ، وقوله : وحصنوا قلعة سلا يعنى بها رباط الفتح اذ هي يومئذ مضافة الى سلا ومعدودة منها . والله تعالى اعلم

استيلاء السلطان زيدان على فاس وفرار الشيخ بن المنصور عنها الى العرائش ثم الى طاغية الاصبينول

كان الشيخ بن المنصور عفا الله عنه على ما تقدم من قبح السيرة والاساءة الى الخاصة والعامة حتى ملته النفوس ورفضته القلوب وضاقت أهل فاس بشؤمه ذرعا ، وكان قد بعث ابنه عبد الله مرة ثالثة الى حرب السلطان زيدان بمراكش وأعمالها فخرج عبد الله من فاس آخر ذى الحجة سنة ست عشرة وألف فالتقى الجمعان بوادى بوركراك فكانت الهزيمة على عبد الله وفر في رهط من اصحابه وترك محلته بما فيها بيد السلطان زيدان ، فاستولى عليها ، وانضم اليه جيش عبد الله من أهل فاس وغيرهم ميلا اليه ورغبة في صحبته . فعفا عنهم وتألفهم : واستفحل أمر السلطان زيدان وتكلم به أهل فاس وسائر بلاد الغرب ، واتصل الخبر بالشيخ وعرف أن قلوب الناس عليه فخاف الفضيحة وأصبح غاديا في أهله وحشمه الى ناحية

العرائش ، فاحتل بالقصر الكبير وهناك لحق به ابنه عبد الله مهزوما من وقعة بوركراك ، وانضم اليهما أبو فارس بن المنصور ، فانه بعد فراره من مرس الرماد الى مسفيوة أقام بها مدة . ولما استولى السلطان زيدان على مراكش كما مر شدد في طلبه ففر الى السوس ، ولما أعيت عليه المذاهب وزيدان في طلبه لحق بشقيقه الشيخ فكان معه الى هذا التاريخ

ثم ان السلطان زيدان بعث كبير جيشه مصطفى باشا الى فاس فانتهى اليها ونزل مخيما بظهر الزاوية ، ووجد لاصحاب الشيخ زروعا كثيرة فارسل مصطفى باشا عليها جيشه فاتسفوها ، ودخلت فاس في طاعته ثم نهض الى ناحية القصر الكبير ناويا القبض على الشيخ وحزبه ، واتصل بالشيخ خبره ففر الى العرائش ، ومنها ركب البحر الى طانجة الاصبينول مستصرخا به على السلطان زيدان ، وحمل معه أمه الحيزران وبعض عياله وجماعة من قواده وبطائه ، وذلك في ذى القعدة سنة سبع عشرة والف وانتهى مصطفى باشا الى القصر الكبير فقبض على من وجد به من أصحاب الشيخ وفر عبد الله وابو فارس فنزلا بموضع يقال له : سطح بنى وارتن ، فبلغ خبرهما الى السلطان زيدان ، فجاها حتى نزل قبالتهمما بموضع يقال له : آرورات ، ففر من كان معهما الى السلطان زيدان ، ولما بقيا أوحش من وتد بقاع فرا الى دار اليهودى ابن مشعل من بلاد بنى يزناسن فأقاما بها

واختصر صاحب « المرأة » هذا الخبر فقال : كان السلطان ابو المعالى زيدان بن المنصور التقى مع ابن اخيه عبد الله بن الشيخ صاحب فاس برؤوس الشعاب يوم الخميس السابع والعشرين من شوال سنة سبع عشرة وألف فانهزم عبد الله بن الشيخ وفر الى محلة ابيه بالعرائش ، ثم رجع الى جهة فاس ، وانتهى الى دار ابن مشعل واستولى عمه السلطان زيدان على محلته وسار الى فاس فدخلها وأقام بها . اهـ

وفى دخلة السلطان زيدان هذه الى فاس قبض على الفقيه القاضى أبى الحسن على بن عمران السلاسى رحمه الله قال اليفرنى فى

« الصفوة » : كان القاضي المذكور ممن أخذ عن الشيخ القصار وكان مع ذلك لما ولي القصار الفتوى والخطابة بجامع القرويين يسعى عند السلطان وتأخيره حتى آخره ، وولى هومكائه مدة يسيرة ثم أعيد القصار ، وكانت بينهما شحنة عظيمة بسبب فتوى تنازعا فيها ، ثم أفضت الحال بالقاضي أبي الحسن الى أن قبض عليه السلطان زيدان بسبب أنه عثر له على كتاب كبه الى بعض اخوته ينتقصه فيه ويوهن أمره ، فأوغر ذلك قلب السلطان عليه فسطا به وسجنه ونهب داره واثاثه ثم سقاها سما ، على ما قيل ، فكان فيه حتفه ، وقد حكى هذا الخبر في موضع آخر من « الصفوة » مطولا فقال :

كان القاضي أبو الحسن علي بن عمران السلاسي شديد الانحراف عن الشيخ العارف بالله أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي سبي الاعتقاد فيه ، ولم يزل يسعى به ويكيده ، فاتفق ان اجتمع بالشيخ في بعض الليالي بعض من يتعاطى العلم فتكلموا في مسائل من صفات الله فنقل كلام الشيخ الى القاضي علي غير وجهه فانكر ذلك ، وركب من حينه الى السلطان زيدان ، وهو يومئذ بفاس ، منتهزا للفرصة فقال : « ان ههنا رجلا يعلم الناس البدع ويلقنهم آراء الفرق الضالة » فقال له السلطان : « من هو؟ » قال : « فلان » قال : « أخو سيدي يوسف » ؟ قال : « نعم » قال : « سمعنا انه أعلم من اخيه » ثم بعث السلطان اليه ، وهو مستشيط غضبا لحبر بلغه من ثورة بعض أقاربه عليه فجاء الشيخ ابو زيد ولم يخلع نعله حتى بلغ بساط السلطان ، فسلم عليه ومد يده فصافحه ، ثم تكلموا في المسألة فنقطع القاضي ولم يجد ما يقول . الا ان الناقل لم يحسن نقلها ، فقال له الشيخ : « فهلا ثبت ! » وكان بعض علماء مراکش حاضرا فبالغ في عتاب القاضي ، وقيل للشيخ : « ما سبب الوحشة بينك وبين هؤلاء؟ » فقال : « لا شيء الا الاستغناء عنهم » فقالوا : « ياسيدي هذا وصف يوجب الحب » فما انفصل الشيخ عن السلطان حتى اطلع على ما يوجب القبض على القاضي فقبض عليه ونهب داره في الحين ، فنزل الشيخ من فاس الجديد فلقي اثنا القاضي في الطريق جيء به منهوبا ، وبقي في السجن الى أن مات

مسموما رحمه الله . وكان الاديب الكاتب أبو عبد الله المكلاني قد كتب
اليه بايات يقول فيها ما نصه :

أما لهلال غاب عنا سفور
فصبرا لدهر رام يمنحك الاسى
سيظهر ما عهدته من جمالكم
وتحبي رسوم للمعالى تغيرت
أبا حسن انى على الحب لم أزل
ففى الفم ماء من بقايا ودادكم
عليكم سلام الله ما هطل الحيا

قال منشئها : وقد انشدتها بين يديه بمحبسه فكسى حتى ظننت أنه
سيهلك ثم افاق وقال : «لله الامر من قبل ومن بعد» فراجعتنى رضى الله
عنه بايات يقول فيها :

تفتق عن زهر الربيع سطور
هزمت من الصدر الجريح همومه
محمد هل فى العصر غيرك شاعر
فانى على صفو الوداد وانسى
متى وعسى يثنى الزمان عنائه
فتدرك آمال وتقضى ما آرب
عليك سلام الله منى فانسى

وكانت وفاة القاضى المذكور رحمه الله فى جامع المشور فى مهل
ربيع الثانى سنة ثمان عشرة والـف



عود عبد الله بن الشيخ الى فاس واستيلاؤها عليها
ومقتل مصطفى باشا رحمه الله



لما دخل السلطان زيدان حضرة فاس واستولى عليها أقام بها الى أن دخلت سنة ثمان عشرة وألف فاتصل به خبر قيام بعض الثوار عليه بناحية مراكش فهض اليها مزعجا ، واستخلف على فاس مولاه مصطفى باشا ، ولما اتصل خبر نهوضه بعبد الله بن الشيخ ، وهو بدار ابن مشعل ، زحف الى فاس فيمن انضم اليه فبرز اليه مصطفى باشا وضرب محلته بظاهر فاس من ناحية باب الفتوح قال في « المرأة » : وعرض لابي الحسن على بن يوسف الاندلسي المعروف بالبيطار غرض من أمور العامة كان يتردد فيه الى المحلة فركب اليها يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف فالتقى الجمعان يومئذ بين الظهريين فاجلت الحرب عن مقتل مصطفى باشا ، وققد ابو الحسن بن البيطار . وقال في « النزهة » : لا رحل زيدان الى مراكش بسبب ما بلغه من قيام بعض الثوار عليه ، هنالك قدم عبدالله بن الشيخ وعمه أبو فارس الى فاس فخرج مصطفى باشا لمقاتلتهما فعثر به فرسه وقتل وأخذت محلته بأسرها ، وهلك ما لا يحصى من الناس ووقع النهب حتى انتهب من البقر التي تحلب نحو ستة آلاف ، ودخل عبد الله بن الشيخ فاسا مع عمه ابي فارس وذلك سابع عشر ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف .



تلخيص خبر أبي فارس ومقتله رحمه الله تعالى

تقدم لنا أن أبا فارس بن المنصور بويح بمراكش وبعث أخاه الشيخ لقتال السلطان زيدان فنكت الشيخ عهده واستبد عليه ، ثم بعث إليه ابنه عبد الله فهزمه إلى مسفيوة ثم فر منها إلى السوس ، فأقام عند حاجب أبيه عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي ، ثم لما بالغ زيدان في طلبه فر إلى أخيه الشيخ فلم يزل مع ابنه عبد الله بن الشيخ إلى أن قتل مصطفى باشا ودخل عبد الله فاسا فاستولى عليها كما ذكرناه آنفا فاتفق رأى قواد شراكة على قتل عبد الله وتولية عمه أبي فارس ، فبلغ ذلك عبد الله فدخل على عمه أبي فارس ليلا مع حاجبه حمو بن عمر فوجده على سجادته وجواربه حوله فأخرجهن وأمر بعمه فخنق وهو يضرب برجليه إلى أن مات وذلك في جمدي الأولى سنة ثمان عشرة والفر ، هذا هو الصواب لا ما في « نشر المثاني » على اضطرابه فأسف الناس عليه لأنه كان يرد عن المناكر ويذجره عن كثير من القبائح ، وذكر في « المتقى » أبياتا من انشاء الكاتب أبي محمد عبد القادر بن أحمد بن القاسم الفشتالي مما كتب تطريزا على نجاد الوثائق بالله أبي فارس المذكور وهي :

أبيه وأزرى بكل نجاد	يروق على حلة اللابس
إذا كنت يوم الوغى محملا	لعضب حكى شعلة القابس
على عاتق الملك المرتضى	سليل الوصي أبي فارس



عود السلطان زيدان الى فاس واستيلاؤه عليها

ثم اعراضه عنها سائر ايامه



لا سمع السلطان زيدان ، وهو بمراكش ، بمقتل مصطفى باشا نهض الى فاس وجاء على طريق الجبل وكان نصارى الاصبيول يومئذ قد نزلوا على العرائش وحاولوا الاستيلاء عليها وذلك باذن الشيخ كما سيأتي . وكان عبد الله بن الشيخ بفاس فسمع بنزول النصارى على العرائش فاستنفر الناس وحضهم على الجهاد فتهيأوا لذلك وعزموا على النهوض اليها فما راعهم الا السلطان زيدان قد اقبل من ناحية ادخسان ، وقد أنزل بها محتله ، وتقدم الى جهة فاس وضرب بأنفاضة فانهزم الناس عن عبد الله ودخل شراكة فاسا فبعث زيدان قائده عبد الصمد لتسكين روعة أهل البلد وامر المنادي ان ينادى بنصره ، فنزل المنادي الى ان بلغ باب السلسلة فقام في وجهه بعض السياب من أهل العدو وضربه فجرحه ورجع المنادي وبطل الامر فبلغ الخبر السلطان زيدان فأمر باطلاق السيل في أهل فاس وتحكيم السيف فيهم ثم ندم فامنهم وسكن روعتهم ، ونزل زيدان بوادي فاس فخرج الناس للقاءه ، وهو غضبان عليهم ، وقد استولى على فاس وتمكن منها ، فأخذ يسب اعيانهم وهم يقتلهم ولكن الله سلم

ثم ان العرب اجتمعوا عند قنطرة المهدومة في نحو ثمانية آلاف فخرج اليهم زيدان ومعه عرب الشرق فانهزموا عنه ولم يبق معه الا رهط يسير فرأى زيدان امامه خيلا قليلة فقصدها فاذا فيها عبد الله بن الشيخ وقد رأى زيدان مقبلا اليه ففر ، مع ان زيدان انما قصد الفرار اليه من غير علم له به فاستتب أمر زيدان وتراجع اليه أصحابه ، ومن الغد رجع الى فاس فخرج اليه أهل فاس يهثونه كبارا وصغارا فاتهمهم بانهم يستهزئون به فأمر بهم فسلبوا رجالا ونساء فكان بعضهم ينظر الى عورة بعض ، وكان عدد السلب نحو عشرة آلاف كسوة ودخل أصحاب زيدان

فاسا فنهبوا وفعلوا فيها الافاعيل ، ثم امر زيدان بتسكين الروعة والامان
وكان ذلك كله سادس رجب سنة تسع عشرة والـف ، فلما كان اليوم
الحادى عشر من الشهر المذكور نزل عبد الله بن الشيخ برأس الماء فخرج
اليه زيدان واقتلوا فانهزم زيدان وقتل من اصحابه نحو الخمسمائة ، وفر
الى محلته التى ترك بادخسان ، وكان ذلك آخر رجوع زيدان الى فاس
فانه لما اعياه امر الغرب أعرض عنه وصرف عنايته الى ضبط ما خلف وادى ام
الربيع الى مراکش واعمالها ، وتوارث بنوه سلطنته على ذاك النحو من بعده ،
وبقى عبد الله بن الشيخ يقطع الايام بفاس الى أن هلك ، وقام بأمر فاس
من بعده ثوارها وسيابها على ما نذكر . وفي كتاب « ابتهاج القلوب فى
أخبار الشيخ المجذوب » ما صورته : « تكلم الشيخ سيدى كدار يوما
فى ملوك وقته فقال : « اما الشيخ معطى العرائش ، فان اهل الله قد دقوا
أوتاده هنالك حتى يموت » فلم يتجاوز محله الى ان قتل به حوز تطاوين
كما سيأتى ، واما زيدان فانه لما اطلق السبيل فى أهل فاس ضربه مولاي
ادريس بركلة صيرته وراء ام الربيع فلم يتجاوزه بعد ذلك » اهـ



استيلاء نصارى الاصبنيول على العرائش والسبب في ذلك



قد تقدم لنا ما كان من خبر الشيخ المأمون من انه فر الى العرائش ومنها ركب البحر الى طاغية الاصبنيول مسترخا به على اخيه السلطان زيدان فاوى الطاغية ان يمده ، فراوده الشيخ على ان يترك عنده اولاده وحشمه رهنا ويعينه بالمال والرجال حتى اذا ملك أمره بذل له ما شارطه عليه ولم يزل به الى ان شرط عليه الطاغية ان يخلى له العرائش من المسلمين ويملكه اياها فقبل الشيخ ذلك والتزمه ، وخرج حتى نزل حجر باديس في ذى الحجة سنة ثمان عشرة والف ثم تقدم فنزل بلاد الريف

ولما سمع ذلك اهل فاس خافوا من شوكة وذهب جمع من علمائهم واعيانهم كالقاضي أبي القاسم بن ابي النعيم ، والشريف أبي اسحاق ابراهيم الصقلي الحسيني وغيرهما لملاقاته وتهنئته بالقدوم ، فلما وصلوا اليه فرح بهم وامر قبطان النصارى ان يخرج مدافعه وانقاضه ارهابا واظهارا لقوة النصارى الذين استتصر بهم ففعل حتى اصطكت الاذان وارتجت الجبال ، ونزل القبطان من السفينة للسلام على الاعيان فلما رأوه مقبلا امرهم الشيخ بالقيام له فقاموا اليه اجمعون ، وجازوه خيرا على ما فعل مع الشيخ من الاحسان والنصرة ، وسلم هو عليهم بنزع قلنسوته على عادة النصارى ، وانكر الناس على اولئك الاعيان قيامهم الكافر ، وضربوا بعضي الذل حتى انهم في رجوعهم الى فاس تعرض لهم عرب الحياينة فسلبوهم واخذوا ما معهم وجردوهم من ملابسهم جميعا ما عدا القاضي ابن ابي النعيم فانه عرف بزى القضاء فاحترموه

ثم ان الشيخ انتقل الى القصر الكبير وهو قصر كرامة وقصر عبد الكريم فاقام به مدة وراود قواده ورؤساء جيشه ان يقفوا معه في تمكين النصارى من العرائش ليفى له الطاغية بما وعده من النصر فامتنع الناس من اسعافه

في ذلك ولم يوافق على غرضه الا قائده الكرني فانه ساعده على ذلك فبعثه الشيخ اليها وامره ان يخليها ولا يدع بها احدا من المسلمين ، فذهب الكرني المذكور وكلم اهلها في ذلك فامتنعوا من الجلاء عنها فقتل منهم جماعة وخرج الباقون وهم يكون تخفق على رؤوسهم الوية الصفار

ولما خرج منها المسلمون اقام بها القائد الكرني الى ان دخلها النصارى واستولوا عليها في رابع رمضان سنة تسع عشرة والفس ، ووقع في قلوب المسلمين من الامتعاض لاختذ العرائش امر عظيم ، وانكروا ذلك أشد الانكار ، وقام الشريف ابو العباس احمد بن ادريس العمراني ودار على مجالس العلم بفاس ونادى بالجهاد والخروج لاغاثة المسلمين بالعرائش ، فانضاف اليه اقوام وعزموا على التوجه لذلك ففت في عضدهم قائدهم حمو المعروف بابي دبيرة ، وصرف وجوههم عما قصدوه في حكاية طويلة

وكان الشيخ لما خاف الفضيحة وانكار الخاصة والعامه عليه اعطاه بلدا من بلاد الاسلام للكفار احتال في ذلك وكتب سؤالا الى علماء فاس وغيرها يذكر لهم فيه أنه لما وغل في بلاد العدو الكافر واتحمتها كرها باولاده وحشمه منعه النصارى من الخروج من بلادهم حتى يعطيهم ثغر العرائش ، وانهم ما تركوه خرج بنفسه حتى ترك لهم اولاده رهنا على ذلك ، فهل يجوز له ان يفدى اولاده من أيدي الكفار بهذا الثغرام لا* ؟ فأجابوه بان فداء المسلمين سيما اولاد أمير المؤمنين سيما اولاد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من يد العدو الكافر باعطاء بلد من بلاد الاسلام له جائز

(*) كان ممن أفتى بالجواز الفقيه محمد بن قاسم ابن القاضي بقتله العامة بالقر وبين عند العشاء يوم الاثنين ٢١ حجة عام ١١٤٠ ومبب قتله ما اتهم به من موافقته على تمكين النصارى من ثغر العرائش اذ كان حضر مع من استدعى محمدا الشيخ من العلماء لاجل ذلك، فتعلق بأغراض فاسدة وامور واهية لم يقبلها احده قاله صاحب التشرح ١ ص ١٥٦ وقد تأخر قتله عن الحادثة بسنين لان المأمون قتل سنة ١٠٢٢ ويظهر ان العامة كانت تحقد عليه فدلته وانتهزت فرصة الفتن التي توالى بعد ذلك بفاس فانتمت منه والله اعلم

وانا موافقون على ذلك . ووقع هذا الاستفتاء بعد ان وقع ما وقع، وما اجاب من اجاب من العلماء عن ذلك الا خوفا على نفسه . وقد فر جماعة من تلك الفتوى كالامام ابى عبد الله محمد الجنان صاحب الطرر على المختصر ، وكالامام ابى العباس أحمد المقرئ مؤلف «نفع الطيب» فاختفيا مدة استبراء لدينهما حتى صدرت الفتوى من غيرهما ، وبسبب هذه الفتوى ايضا فر جماعة من علماء فاس الى البادية كالشيخ أبى على الحسن الزياتى شارح جمل ابن المجراد ، والحافظ ابى العباس أحمد بن يوسف الفاسى وغيرهما *

بقية اخبار الشيخ ومقتله رحمه الله وتجاوز عنه

ثم ان الشيخ ابن المنصور نزل بالفحص واجتمعت عليه لمة من أهل الذعارة والفساد على شاكلته فنهض بهم الى تطاوين فاستولى عليها واخرج منها كبيرها المقدم المجاهد ابا العباس احمد النقيس ، ولم يزل الشيخ يجول فى بلاد الفحص ويعسف اهلها الى ان ملته القلوب وتمالاً اشياخ الفحص على قتله لما رأوا من انحلال عقيدته ورقة ديانته ، وتمليكه نعر الاسلام للكفار ، ففتك به المقدم ابو الليف فى وسط محلته بموضع يعرف بفتح الفرس وبقي صريحا مكشوف العورة اياما حتى خرج جماعة من أهل تطاوين فحملوه مع من قتل معه من اصحابه كالديبريين وبعض اولاده ودفنوهم خارج تطاوين الى ان حمل الشيخ الى فاس الجديد مع امه الحيزران فدفنا به ، وكان مقتله خامس رجب سنة اثنتين وعشرين وألف

(*) وممن انكر على المأمون واغلظ له فى الملام الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابى الحسن المعروف بالحاج الاغصاوى البقال من اولاد الحاج البقال ، فانفذ المأمون اهو انما واتوا به الى فاس فقتله بها ضربا سنة ١٠١٧ ودفن بالسياب وبنيت عليه قبة اه . قاله التعارجى فى تاريخه ج ٤ ص ٢٦٢ . وراجع ترجمته فى النشرج اول ص ١٠١ .

وقال منوبل : انه وصل الى قرب تطاوين وبنى هنالك افراكا وأقام
 ينتظر اجتماع الجيوش عليه ثم سكر ذات يوم على عادته وخرج الى عين
 ماء هنالك فاستلقى قربها في نيات اخضر أعجيبته خضرته فجاءه اناس من
 أهل تلك البلدة فعرفوه وشدخوا رأسه بصخرة فقتلوه . ويقال ان قتله كان
 بإشارة الناثر ابي محلى الآتى ذكره وانه كتب الى المقدمين النقيس وابي
 الليف يحضهما على قتله فقتلوه وانتهبوا ماله وكان شيئا كثيرا ، ومن جملة
 ما نهب منه نحو المد من الياقوت وبقي من اثاته نحو وسقي سفينة كان قد
 تركه بطنجة فاستولى عليه نصاراها من البرتقال لما قتل ، وكان للشيخ عفا
 الله عنه مشاركة في العلم ويسد في مبادئ الطب أخذ عن أشياخ الحضرتين
 وله شعر مقارب ، ومن كتابه الاديب المتفنن ابو العباس احمد
 ابن محمد الغرديس التغلبي وكان من اهل الاجادة والتبريز في صناعة
 الانشاء . قال الشيخ ابو محمد العربي الفاسي في شرحه لدلائل الحيرات
 عند قوله « وكان لي جار نساخ » ما نعه : « وقد كان الشيخ الكاتب
 للرئيس ابو العباس أحمد الغرديس شيخ كتاب الانشاء بحضرة فاس رحمه
 الله استعار مني كتاب الانباء في شرح الاسماء للأفليسي ثم مرض مرض
 موته فعدته فوجدت الكتاب عند رأسه ومعه كراريس منسوخة واخرى
 معدة للنسخ فقال لي : « اني اذا وجدت راحة كتبت منه ما قدرت عليه
 فاذا غلبني ما بي امسكت » فقلت له : « ولم تتكلف هذا؟ » فقال : « اني
 عصيت الله بهذه الاصابع ما لا احصيه فرجوت ان يكون ما اعانيه على هذه
 الحال من نسخ هذا الكتاب خاتمة عملي وكفارة لذلك » فكمل الله قصده
 واتم الكتاب وتوفي من مرضه ذلك وقد طال به سنة عشرين والالف ،
 اه ولهذا الكاتب يقول الشاعر :

تمت ياغرديس والدهر رافد وأنت بفاس وابن جيون واجد
 بسعدك راحت خيزران لقبرها «مصائب قوم عند قوم فوائد»



رياسة ولى الله تعالى أبى عبد الله سيدى محمد العياشى على الجهاد
ومبدأ امره فى ذلك



هذا الرجل هو ولى الله تعالى المجاهد فى سبيله ابو عبد الله محمد (فتحاً) ابن احمد المالكى الزينانى المعروف بالعياشى ، ونسبته الى بنى مالك بن زغبة الهلالين ، وهم اليوم قبيلة من عرب الغرب ، كان رحمه الله مستوطناً مدينة سلا ، وكان من تلامذة الولى العارف بالله تعالى ابى محمد عبد الله ابن حسون السلاسى دفين سلا ،

وكان ابتداء امر أبى عبد الله انه كان ملازماً لشيخه المذكور من أقرب التلامذة اليه واسرعهم الى خدمته واولهم دخولا عليه وآخرهم خروجاً عنه وكان مع ذلك كثير الورع قليل الكلام مديماً للصيام وقراءة القرآن فكان الشيخ ابن حسون ملتفتاً اليه ، ولم يزل الامر على ذلك الى ان شاعت مناقب الشيخ وكر غاشيه ، فاهدى له يوماً بعض اشياخ القبائل فرسا فامر الشيخ باسراجه وقال : «ابن محمد العياشى ؟» فقال : ها أنا ذا ياسيدى ، فقال الشيخ : «اركب بحول الله فرسك وديناك وآخرتك ، فتقهقر تأدباً فحلف عليه ليركبن وحبس له الركاب بيده ، وقال له : «ارتحل عني الى آزموور وانزل على اولاد ابى عزيز ولا بد لك من الرجوع الى هذه البلاد وسيكون لك شأن عظيم» فودعه ابو عبد الله ووضع الشيخ يده على رأسه وبكى ودعا له بخير ، فقصد ناحية آزموور ونزل حيث عين له شيخه المذكور ، وذلك لاول دولة السلطان زيدان سنة ثلاث عشرة والى ، فلم يزل ابو عبد الله العياشى متابراً على الجهاد نديماً الشكيمة على العدو عارفاً بوجوه المكاييد الحربية بطلاً شهماً مقداماً فى مواطن الاحجام وقوراً صموتاً عن الكلام ، فطار بذلك فى البلاد صيته وشاع بين الناس ذكره لما هو عليه من التضيق على نصارى الجديدة ، وكانوا يومئذ

قد امر أمرهم ، ففرح بذلك قائد آرمور ، ولم يزل الامر على ذلك الى أن توفي قائد الفحص والبلاد الآرمورية فسأل السلطان زيدان عن يلىق بتولية ذلك الثغر فقبل له : سيدى محمد العياشى ، فكتب اليه بالتولية فقبل ، ونهض باعباء ما حمل من ولاية النحص وجهاده .

وكانت له مع نصارى الجديدة وقائع وضيق عليهم حتى منعهم من الحرت والرعى فبعث النصارى الى حاشية السلطان زيدان بالتحف ونفاس الهدايا ليعزلوا عنهم ابا عبد الله المذكور لمضايقته لهم ، فخوفوا السلطان زيدان عاقبته وحضوه على عزله ، واظهروا له انه مسموع الكلمة فى تلك النواحي ، وأنه يخشى على الدولة منه ، وكان ابو عبد الله العياشى كلما بعث بالغانم وما يفتح الله به عليه من الاسارى الى مراکش ازدادت شهرته وتناقل الناس حديثه ، فوغر بذلك قلب زيدان وحقن عليه ، فبعث اليه قائده محمد السنوسى فى اربعمائة فارس وامره بالقبض عليه وقتله ، والقى الله فى قلب القائد المذكور الشفقة عليه لما يعلم من برامته مما قذف به فبعث اليه خفية : ان انج بنفسك فانك مغدور ، فخرج أبو عبد الله العياشى فى اربعين رجلا فرسانا ومشاة قاصدين سلا فاستقر بها سنة ثلاث وعشرين والى الف ولما انتهى السنوسى الى آرمور ولم يجد له أثرا أظهر العناية بالبحث عنه وعاقب شرذمة من أهل الفحص على افلاته تعمية على السلطان واقامة لعذره عنده ، فقبل السلطان زيدان ذلك والله غالب على أمره .



ثورة الفقيه، ابي العباس احمد بن عبد الله السجلماسي

المعروف بابي محلي



قال في كتابه « اصليت الخريت » ما ملخصه : « كانت ولادتي سنة سبع وستين وتسعمائة بسجلماسة والذي تلقينته من ابي وكافة عمومتي ان اولاد ابي محلي من ذرية العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، واما جدنا الاشهر المكنى بابي محلي بفتح الميم والحاء وكسر اللام المشددة بعدها ياء تحية ساكنة مع كبير شهرته لا علم لى الآن بسبب تكيته بذلك ولا إتفاصيل أحواله بعد البحث عنه ، قال : وبخطة القضاء اشتهر سبنا فنعرف باولاد القاضى وزاويتنا بزواية القاضى ولم تزل بقية العلم فى دورنا وخصوصا دار أبى (*) ، اه

وقال صاحب « البستان » : ابو محلي هذا اسمه احمد بن عبد الله ويتنسب الى بنى العباس ويعرفون فى سجلماسة باولاد ابن اليسع أهل زاوية القاضى « انتهى . قلت : اما الاتساب الى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فقد انكر ابن خلدون وجود النسبة العباسية فى المغرب ، قال فى فصل اختلاط الانساب وما بعده ما نصه : « ولم يعلم دخول أحد من العباسيين الى المغرب لانه كان منذ أول دولتهم على دعوة العلويين أعدائهم من الادارسة والعيديين فكيف يسقط العباسى الى احد من شيعة العلويين » اه ثم قال ابو محلي فى الكتاب المذكور : « فلما نشأت فى حجر والدى بذل مجهوده فى تعليمى ، وقد كانت امى رأت وهى حامل بى وليا من اولياء الله تعالى احد شيوخ التربية ببلدنا ، وهو الشيخ ابو الحسن على بن عبد الله السجلماسى ، قد سقاها قدحا من لبن ، وأرجو الله صدق تأويلها بالعلم والدين وحق اليقين » قال : « وكان خروجى لطلب العلم بفاس فى حدود

(*) انظر الرحلة العياشية ج. ١ ص. ١٩

التمانيين وتسعمائة ، وانا يومئذ مراهق او بالغ الحلم ، لا همة لى الا فى العلم ، فاقمت بفاس نحو خمس سنين الى ان جاء النصارى الى وادى المخازن فدهش الناس ، واستشرت اخا من الطلبة فدلتنى على الخروج الى البادية حتى ينجلي نهار الامن ، فخرجت الى كريكرة فحفظت فيها الرسالة ، وقد كنت ما حصلت بفاس الا النحو ، ثم رجعت الى فاس بعد ان زال الدهش بهزيمة النصارى وولاية المنصور ، والنحو صنعنى ، وفى الفقه رغبتى .

وقد كنت فى الحرجة الاولى الى البادية زرت قبر الشيخ أبى يعزى رضى الله عنه فطلبت الله عنده أن أكون من الراسخين فى العلوم بأسرها ، وتوبة يقبلها فما دار على الحول الا وأنا بزواية الشيخ أبى عبد الله سيدى محمد بن مبارك الزعرى ، لا عن قصد ، لكونى اذذاك مولعا بالعلم ، أما طريق الفقر فلا تخطر لى ببال لان المعتمد يومئذ فى فقراء الوقت اخلاق الضلال ، فكنت أشد الناس حذرا منهم الى أن انكشف الستر فرأيت ما رأيت ووعيت ، فصاحبت شيخى الذى لولاه مع فضل الله لهلكت ، ولولا هدايته باذن الله لضللت ، أعنى أبأ عبد الله مولاي محمد بن مبارك الزعرى القبيل الجرارى السبيل وهو رضى الله عنه من قبيلة عرب بالمغرب يقال لهم زعير بصيغة التصغير والنسب اليها زعرى على التكبير ، وهى قبيلة من عرب السوس بالمغرب الاقصى ، قال : « فبقيت فى صحبة شيخى المذكور نحو من ثمان عشرة سنة وما فارقت الا عن أمره اذ هو الذى وجهنى الى بلدى سجدلماسة من غير اختيار قائل لى : « صلاحهم فىك » ثم ناولنى عصاه وبرنسه ونعله من غير طلب منى لشيء من ذلك ، وجعل فى رأسى قلنسوة كالخرقة بيده اليمنى عند الوداع ، فلما استوطنت بلدى عن اذنه زرتة منه احدى عشرة مرة ، وفى الاخرة منها وذلك بعد مقفلى من الحجبة الاولى التى كانت سنة اثنتين بعد الالف دعالى بقوله : « بلاك الله أكثر مما بلانى » فتأولتها باقبال الخلق كما ترى ، وقد صاح عندها صيحة عظيمة لم أر مثلها منه منذ صحبته ، اذ عادته كانت الطمأنينة ،

ولما توفي رحمه الله بقيت نحو من ثلاث سنين عاطلا ، ثم تحلى النحر بدرر لطائفه الموعود بها فله الحمد على ما أسدى وله الشكر فيما أولى ، ثم ذكر بقية أشياخه كالشيخ أبي العباس المنجور ، والشيخ أبي العباس السوداني ، والشيخ سالم السنهورى وغيرهم ممن يطول ذكرهم ، قال : « ثم كملت الفائدة بعد المفضل من الحج فرجعت الى الديار المغربية ونزلت بوادى الساورة ثم تحولت بجميع عيالى الى الوادى المذكور ، هذا ملخص أوليته منقولاً من كتابه المذكور .

وقال الشيخ أبو العباس أحمد التواتى رحمه الله تعالى فى رسالته التى سماها « مقامة التحلى والتخلى من صحبة الشيخ أبي محلى » وهى رسالة طويلة مسجعة قال : « كان الفقيه أبو محلى فى أول أمره فقيها صرفا ثم اتحل طريقة التصوف مدة حتى وقع على بعض الاحوال الربانية ولاحث له مخايل الولاية فانحشر الناس لزيارته أفواجا ، وقصدوه فرادى وأزواجا ، وبعد صيته وكثرت أتباعه » قال : « فلما سمعت بذلك ذهبت اليه وجلست عنده الى ان وجدته يشير الى نفسه بأنه المهدي المعلوم المبشر به فى صحيح الاحاديث فتركه وراءه ونبذته بالعراء » اهـ

وقال الشيخ اليوسى فى « محاضراته » وقد تكلم على الدعوى الفاطمية ما نصه : وممن ابتلى بها قريبا أحمد بن عبد الله بن ابي محلى التستاتى خاض فى الطريق حتى حصل له نصيب من الذوق ، وألف فيها كتابا يدل على ذلك ثم نزعته به هذه النزعة فحدثونا انه كان فى أول أمره معاشرًا لمحمد بن أبي بكر الدلائى ، وكان البلد اذ ذاك قد كثرت فيه المناكر وشاعت فقال ابن أبي محلى لابن أبي بكر ذات ليلة هل لك فى أن نخرج غدا الى الناس فنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ؟ فلم يساعفه لما رأى من تعذر ذلك لفساد الوقت وتفاقم الشر ، فلما أصبحا خرجا ، فأما ابن ابي بكر فانطلق الى ناحية النهر فغسل ثيابه وأزال شعره بالحلق وأقام صلاته وأوراده فى أوقاتها ، وأما ابن أبي محلى فتقدم لما هم به من الحسبة فوقع فى شر وخصام أداه الى فوات الصلاة عن الوقت ، ولم يحصل على طائل ،

فلما اجتمعا بالليل قال له ابن أبي بكر : « أما انا فقد قضيت ما ربي وحفظت ديني وانقلبت في سلامة وشفاء ومن أتى منكرا فالله حسيه ، أو نحو هذا من الكلام ، وأما أنت فانظر ما الذي وقعت فيه ، ثم لم ينته الى أن ذهب الى بلاد القبلة ودعا لنفسه وادعى أنه المهدي المنتظر وانه يصدد الجهاد فاستخف قلوب العوام واتبعوه » اه .

وصار ابن أبي محلي يكتب رؤساء القبائل وعظماء البلدان يأمرهم بالمعروف ويحضهم على الاستمسك بالسنة ، ويشيع أنه الفاطمي المنتظر ، وان من تبعه فهو الفائز ومن تخلف عنه فموبق ، وربما كان يقول لاصحابه محرضا لهم على نصرته : « أنتم أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لانكم قمتم بنصر الحق في زمن الباطل ، وهم قاموا به في زمن الحق » ونحو هذا من زخارف كلامه ، والى ذلك أشار الفقيه أبو زكريا يحيى ابن عبد المنعم الحاحي في بعض قصائده معرضا بأبي محلي المذكور فقال :
يا أمة المصطفى الهادي أليس لكم فيمن مضى اسوة من سائر العلماء
نسيتم دين خير الخلق وافتقرت آراؤكم ففدا الاسلام منقسما
أتحسبون بأن الله تارككم سدى وخلقكم قد تعلمون لما
ناشدتكم بالذي في العرض يجمعنا أما فطنتم ومالاه كمن فهما
بان مغربكم قد عمه سخط من المهيمن يا لله معتصما
ان قيل للناس ان الهرج يوبقكم قالوا الفقيه فلان قبلنا اعترضا
لو لم يكن جاز ما أفتى الامام به ولا أتاه ، ألا تبوا الذي انهدما
ومن يقل قال خير الخلق قيل له ها صاحب الوقت يكفيننا الذي علما
ونحن أفضل من صحب الرسول لنا أجر يضاعف في أجفاننا نظما
وزخرفوا ترهات القول فانفعلت لهم نفوس عوام رشدها عدما



نهوض ابن ابي محلى الى سجلماسة ودرعته واستيلاؤا عليهما
ثم على مراکش بعدهما



كان ابو العباس ابن ابي محلى عفا الله عنه لما كثر جموعه وانثال
الناس عليه يصرح بوجوب القيام بتغيير المنكر الذى شاع فى الناس
ويقول : « ان اولاد المنصور قد تهالكوا فى طلب الملك حتى فنى الناس
فيما بينهم وانهبت الاموال وانهكت المحارم فيجب الضرب على أيديهم
وكسر شوكتهم » ، ولما بلغه ما فعل الشيخ من اجلاء المسلمين عن العرائش
وبيعها للعدو الكافر استشاط غضبا وأظهر أنه غضب لله لا لشيء سواه
فخرج يوم سجلماسة ، وكان خليفة زيدان عليها يومئذ يسمى الحاج
المير ، فخرج عامل زيدان لمصادمته ، وهو فى نحو أربعة آلاف ، وابن
أبى محلى فى نحو أربعمائة ، فلما التقى الجمعان كانت الدبرة على جيش
زيدان ، وأشاع الناس أن الرصاص يقع على أصحاب أبى محلى باردا
لا يضرهم ، ونفخ الشيطان فى هذه الفرية فسكنت هيبته فى القلوب ،
وتمكن ناموسه منها ، ولما دخل سجلماسة أظهر العدل وغير المناكر فأجبه
العامة ، وقدمت عليه وفود أهل تلمسان والراشدية يهثونه ، وفيهم الفقيه
العلامة أبو عثمان سعيد الجزائرى المعروف بقدورة شارح السلم ، وهو
من تلامذة ابن أبى محلى كما ذكره فى الاصلية ، ولما بلغ خبر الهزيمة
الى زيدان وانتهى اليه فلها جهز اليه من مراکش جيشا ، وأمر عليه أخاه
عبد الله بن المنصور المعروف بالزبدة فسمع به أبو محلى فسار اليه فكان
اللقاء بينهما بدرعة ، فوقعت الهزيمة على عبد الله بن المنصور ومات من
أصحابه نحو الثلاثة آلاف ، فقوى أمر ابن أبى محلى واشتدت شوكته ،
وجمع بين سجلماسة ودرعة ، وكان القائد يونس الايسى قد هرب من
زيدان لامر نقمه عليه وقصد الى أبى محلى ، فجاء معه يقوده ويطلعه على
عورات زيدان ويهون عليه أمره ، وما زال به الى أن أتى به الى مراکش

فبعث اليه زيدان جيشا كثيفا فهزمه أبو محلى ، وتقدم فدخل مراکش واستولى عليها ، وفر زيدان الى نجر آسفى . وهم بركوب البحر الى بر العدو هكذا فى « النزهة » .

وذكر لوزير البرتغالى فى كتابه الموضوع فى أخبار الجديدة : « أن نصارى الجديدة بعثوا الى السلطان زيدان بمائتين من مقاتلتهم اعانة له على عدوه من غير أن يطلب منهم ذلك ، فلما وصلوا اليه أنف من الاستعانة بهم على المسلمين ، لكنه أحسن اليهم وأطلق لهم بعض أسراهم وردهم مكرمين » هذا كلامه « والحق ما شهدت به الاعداء » وذلك هو الظن بزيدان رحمه الله .

ولما دخل أبو محلى قصر الخلافة بمراكش فعل فيه ما شاء ، وولد له هنالك مولود سماه زيدان ، ويقال : انه تزوج أم زيدان وبنى بها ودبت فى رأسه نشوة الملك ونسى ما بنى عليه أمره من الحسبة والنسك .

وفى « المحاضرات » للشيخ اليوسى رحمه الله ما صورته : « وزعموا أن اخوانه من الفقراء ذهبوا اليه حين استولى على مراکش برسم زيارته وتهنئته ، فلما كانوا بين يديه أخذوا يهنئونه ويفرحون له بما حاز من الملك ، وفيهم رجل ساكت لا يتكلم ، فقال له : « ما شأنك لا تتكلم ؟ » وألح عليه فى الكلام ، فقال الرجل : « أنت اليوم سلطان فان أمنتى على أن أقول الحق قلته » قال له : « أنت آمن فقل » فقال : « ان الكرة التى يلعب بها الصبيان يتبعها المائتان وأكثر من خلفها وينكسر الناس وينجرحون وقد يموتون ويكثر الصباح والهول فاذا فتشت لم يوجد فيها الا سراويل » أى خرق بالية ملفوفة ، فلما سمع ابن أبى محلى هذا المثل وفهمه بكى وقال : « ربما أن نجبر الدين فآتلفناه » انتهى



استصر اخ السلطان زيدان بأبي زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحاحي
ومقتل أبي محلي رحمه الله



لما التف الرعاع من العامة على أبي محلي وكثرت جموعه وعلم زيدان
ضعفه عن مقاومته كتب الى الفقيه أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد
ابن عبد المنعم الحاحي ثم الداوودي مستغيثا به ، ثم وفد عليه بنفسه .
وكان يحيى بزواية أبيه من جبل درن ، وله شهرة عظيمة بالصقع السوسي
وله أتباع ، فاتاه السلطان زيدان وقال له : « ان بيعتي في أعناقكم وأنا
بين أظهركم فيجب عليكم الذب عني ومقاتلة من ناواني ، فلبى أبو زكرياء
دعوته ، وحشر الجيوش من كل جهة ، وخرج يوم مراكش في ثامن
رمضان سنة اثنتين وعشرين وألف .

ولما انتهى الى قم تانوت موضع على مرحلتين من مراكش كتب اليه
أبو محلي بما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن عبد الله
الى يحيى بن عبد الله ، أما بعد ، فقد بلغني أنك جندت وبندت ، وفي قم
تانوت نزلت ، أهبط الى الوطاء ، ينكشف بيننا الغطاء ، فالذئب خال
والاسد صوال ، والايام لا تستقيم الا بطعن القنا وضرب الحسام والسلام ،
فأجابه يحيى بما نصه : « من يحيى بن عبد الله الى أحمد بن عبد الله ،
أما بعد ، فليست الايام لي ولا لك انما هي للملك العلام ، وقد أتيتك
بأهل البنادق الاحرار ، من الشبانة ومن اتقى اليهم من بني جرار ، ومن أهل
الشروور والبؤس ، من هشتوكة الى بني كسوس ، فالموعد بيني وبينك
جيليز ، هنالك ينتقم الله من الظالم ويعز العزير »

ثم زحف يحيى الى مراكش في جموعه فنزل بقرب جيليز جبل
مطل على مراكش ، وبرز اليه أبو محلي ، والتحم القتال بينهما فكانت أول
رصاصة في نحر أبي محلي فهلك مكانه ، وانذعرت جموعه ، ونهبت
محلته ، واحتز رأسه وعلق على سور مراكش ، فبقى معلقا هنالك مع

رؤوس جماعة من أصحابه نحووا من اثني عشرة سنة ، وحملت جثته
فدفنت بروضة الشيخ أبي العباس السبتي تحت المكتب المعلق هنالك عند
المسجد الجامع . وزعم أصحابه أنه لم يمّت ولكنه تغيّب .

قال اليفرنى : « وحدثني من أثق به من أهل وادي الساوره أن فيهم
الى الآن من هو على هذا الاعتقاد »

وذكر الشيخ اليوسى فى « المحاضرات » : « أن أبا محلى كان
ذات يوم عند استاذه ابن مبارك فورد عليه وارده حال فتحرك وجعل
يقول : « أنا سلطان أنا سلطان » فقال له الاستاذ : « يا أحمد هب انك
تكون سلطانا ، انك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولاً » ووقع فى يوم
آخر للفقراء سماع فتحرك أبو محلى وجعل يقول « أنا سلطان أنا سلطان »
فتحرك فقير آخر وجعل يقول « ثلاث سنين غير ربيع ، ثلاث سنين غير
ربيع » قال : « وهذه هى مدة ملكه » اه .

ويذكر انه لما طاف بالبيت فى وجهته الحجازية سمع وهو يقول :
يارب انك قلت ، وقولك الحق ، « وتلك الايام نداولها بين الناس » فاجعل
لى يارب دولة بينهم ، قالوا : « ولم يسأل حسن العاقبة فرزق الدولة وآل
به الامر الى ما أبرمته يد القدرة » وكان أبو محلى رحمه الله فقيها محصلا
له قلم بليغ ونفس عال ، وله تأليف منها « الوضاح » و « القسطاس »
« والاصلية » « والهودج » « ومنجنيق الصخور فى الرد على أهل الفجور »
« وجواب الخروبى عن رسالته النهرية لابي عمرو القسطلي » وغير ذلك ،
وقد وقعت بينه وبين يحيى بن عبد الله مراسلات ومهاجيات نظما
ونثرا كقوليه :

أيحيى الخسيس النذل مالك تدعى بزور شعارا للفحول الاوائل
كدعواك فى بيت النبوة نسبة وأنت دنىء من أخس القبائل
ووجهك وجه القرذ قبح صورة ورأسك رأس الديك بين المزابل

ويزعمون أن يحيى كان معاشرنا لابي محلى أيام الطلب بالمدرسة

(الاستقصا . سادس . 3)

بفاس قال اليفرنى : وحدثنى صاحبنا القاضى ابو زيد السكتانى انه وقف على تأليف كبير مشتمل على ما وقع بين يحيى وابى محلى من الشعر فى غرض الهجاء وغيره .

وقد رمز تاريخ ثورة ابي محلى ووفاته ، الشيخ الفقيه ابو العباس أحمد المريدى المراكشى فقال : « قام طيسا ومات كبشا » ولا يخفى ما فيه بعد افادة التاريخ من حسن التلميح وبديع التورية ، ولما قتل ابن ابي محلى دخل يحيى مراكش واستقر بدار الخلافة منها والقى بها عصا تسياره ، ورام ان يتخذها دار قراره ، فكذب اليه السلطان زيدان يقول : « أما بعد فإن كنت انما جئت لنصرتى وكف يد ذلك الناصر عنى فقد ابلغت المراد وشفيت الفؤاد ، وان كنت انما رمت ان تجر النار لقرطك ، وتجعل الملك من قنصك فاقفر الله عينك به » والسلام . فتجهز يحيى للعود الى وطنه واظهر العفة عن الملك وانه انما جاء ليدافع عن السلطان الذى بيعته فى عنقه ، وانقلب الى بلاده ورجع زيدان الى مراكش ، فاستقر بدار ملكه وقد قيل : ان يحيى رام الملك وان اجناده من البربر لم يساعده فى قصة طويلة . والله اعلم



بقية أخبار أبي زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحاحي
وما دار بينه وبين السلطان زيدان رحمهما الله

هو يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي الداودي
المنايني وكان جده سعيد واحد وقته علما ودينا وهو الذي أحيا الله به
السنة بالسوس ، وانتعش به الاسلام فيه ، وتوفي سنة ثلاث وخمسين
وتسعمائة فخلفه ولده ابو محمد عبد الله وجرى على نهجه وسيله ،
بل كان بعض الناس يفضل على أبيه ، وتوفي سنة اثنتي عشرة الف ودفن
بزداغة من جبل درن حيث كانت زاويته . ولما مات جلس ولده ابو زكرياء
يحيى موضعه وانتهج سبيله ، وكان فقيها مشاركا رحل الى فاس واخذ عن
شيوخها كالمنجور وغيره ، وعن الشيخ العارف بالله ابي العباس أحمد
الحسني على ما وجد بخطه السوساني الشهير بادفال دفين درعة ، وهو
معتمده ، أخذ عنه كثيرا من الفنون واجازه في علوم الحديث اجازة عامة ،
وكان يحيى شاعرا محسنا ، وكانت له شهرة عظيمة بالصلاح ، وله أتباع
كوالده وجدده ، وتوجهت الى زيارته الهمم ، وركبت اليه النجائب الا أنه
وقع له قريب مما وقع لابي محلي ، فتصدى للملك وخاض في امور السلطنة
فتكدر مشربه ، وقد قال بعض العلماء : « ان الرياسة اذا دخلت قلب رجل
لا تقصر عن اذهاب رأسه » . ولذلك قال صاحب « الفوائد » (*) في حقه :

(*) كتاب الفوائد الجملة باسناد علوم الامة . وصاحبه هو الشيخ أبو زيد عبد الرحمن
ابن محمد بن ابراهيم بن أحمد الجزولي المعروف بالتمارتي نسبة الى تمرنت واحة بجنوب
الاطلس . تولى قضاء تارودانت وتوفي في حدود السبعين وألف الموافق لسنة ١٦٦٠ .
وقد نقل عنه اليفرنى الكثير في النزهة . وتوجد منه نسخة الآن في وتماننا هذا وهو سنة
١٣٥١ الموافقة لسنة ١٩٣٢ في مكتبة قاضي تارودانت السيد موسى بن العربي . وأخرى
بخزانتنا الناصرية بسلا .

« انه قام لجمع الكلمة والنظر في مصالح الامة ، فاستمر به علاج ذلك الى ان توفي ولم يتم له امر » وكان يرسل السلطان زيدان ويكثر عليه ويجير عليه من استجابه ويروم الى مناصحته ابتغاء ، ويسر من ذلك حسوا في ارتغاء ، وكان زيدان يتحمل منه امرا عظيما . فمما كتب به يحيى اليه ما نصه : « من يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم كان الله له بجميل لطفه آمين ، اللهم انا نحمدك على كل حال ، ونشكر ياولى المؤمنين على دفع اللأواء والمحال ، ونصلى ونسلم على صفيك أفضل من شدت اليه الرحال ، ونستوهبك يامولانا جميل لطفك وجزيل فضلك فى المقام والترحال ، عاثرين بوجهك الكريم من مؤاخذتنا بسوء أعمالنا يا شديد المحال ، هذا وسلام الله الاتم ، ورضوانه الاعم ، ورحمته وبركاته على المولى الامام العلم المقدم ، العلوى الهمام ، كيف اتم وكيف احوالكم مع هذا الزمان لأذى شمر عن ساقه لسلب الاديان ، والح في اقتضاء هواه على كل مديان ، فانا لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وهو حسينا ونعم الوكيل ، وبعد ، فلباعت به اليكم فى هذه البطاقة امور ثلاثة مدارها على قوله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولخاصة المسلمين وعامتهم » فالاول : بيان سبب الركون الى جانبكم ، والثانى : الحامل على دفع مناويكم ، والثالث : ملازمة نصحتكم وتذكيركم والضجر مما يصدر منكم ومن اعوانكم للرعية ، أما الاول فله اسباب كثيرة منها : مراعاة الجنب النبوى الكريم فى أهل بيته ، ورضى الله عن ابي بكر الصديق القائل : « ارقبوا محمدا فى أهل بيته » والقائل : « لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى ان أصل من قرابتى »

يا أهل بيت رسول الله جبكم فرض من الله فى القرآن أنزله يكفيكم من عظيم المجد انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له ومنها : نصح خاصة المسلمين الذى هو : الدعاء بالهداية لهم ورد القلوب النافرة اليهم ، ونصحهم بقدر الامكان مشافهة ومراسلة ومكاتبة ، وقد بذلنا الجهد فى الجميع اخلص الله القصد فى الجميع ، واما الثانى : فلما

جرى القدر بتغلب ذلك الانسان المتسلط على النفس والحريم والاموال
وادخل بتأويلاته البعيدة عن الصواب ما ليس فى المذهب ، وتعدى خصوص
الولاية الى سائر الرعية فاضلها ومفضولها ، ومد مع ذلك يد الوعيد المؤكد
بالايمان اليها فى الانفس والاموال ، فناشدناه ، كما تقرر فى فتاوى الائمة
رضى الله عنهم ، حيث توفرت فيه فصول الصائل كلها بشاهد العيان ، فكان
الامر كما قدر الله تعالى ، « والله الامر من قبل ومن بعد » واما الثالث :
فالكتاب والسنة والاجماع ، أما الكتاب فسورة : والعصر ، قائمة البرهان فى
كل اوان وعصر . وقال تعالى فى قضية كليمه : « رب بما انعمت على فلن
اكون ظهيرا للمجرمين » وقد استشهد به بعض العلماء فى برى قلم لكتاب
بعض الامراء المتقدمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وقوله جل من قائل :
« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » واما السنة :
فالحديث الاول ، قوله صلى الله عليه وسلم : « المعين شريك » ، وقوله :
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يقدر فبلسانه ، فان لم يقدر
فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » وقد كنا مقتصرين على التغيير باللسان والقلم
لكون التغيير العملى اليكم حتى جذبتونا اليه ، ودلتمونا بارتكاب أصعب
مرام عليه ، وقوله : « من اعان على قتل مسلم ولو بشرط كلمة جاء يوم
القيامة مكتوبا بين عينيه : آيس من رحمة الله » وقد قال المواق فى شرحه
على المختصر : « من اعان على عزل انسان وتولية غيره ولم يأمن سفك
دم مسلم فهو شريك فى دمه ان سفك » ثم اتى بالحديث المتقدم استعظاما
لذلك الامر الفطيع ، فانا لله وانا اليه راجعون ، على انا اتخذنا بالله حتى
كنا نأمن بالقطع سفك الدماء اذ ذاك ، حيث كتبت اليها مرارا وأمنت وارسلت
وكنت أتخوف من هذا الواقع اليوم بأزمور وآسفى ومراكش والغرب ،
ولذلك كنت الححت عليكم فى تقرير العهد حتى أتانى القائد عبد الصادق
بمصحف ذكر انه لسلطان تلمسان فى جرم صغير ، وقال لى : « أمرنى
السلطان ان احلف لك فيه نيابة عنه على بقائه على العهد فيما بينك وبينه
من تأمين كل من امته ، وامضاء كل ما رأته صلاحا للامة ، ثم لم اكف

حتى أتسى القاضى فكبت الى معه : « ان كل ما رأيت فيه الصلاح للامة
أفضيته ، وانك امنت كل من امتته » ثم بعد استقرارك فى دارك كبت الى
كنايا : « انك باق على ما تعاهدنا معك عليه من الامور كلها على معيار
الشريعة » فما راعنى الا وقد أخفرت فى ذمة الله وأمانى الذى عقدته
للناس ، فمن مأسور ومقيد ومطلوب بمال ومطروود عن بلد ، واخبار آخر
ترد علينا من جهة السواحل ، وان الناس تباع فيها للعدو دمره الله ، ولم نر
من اهتبل بذلك ممن قد تموه امور الثغور ، فلم ندر هل بلغك ذلك
فنسقط عنا ملامة الشرع ، او لم يبلغك فاعلمنا لله لتطمئن قلوبنا ، فانى
أكاتبك فى ذلك فلا ارى جوابا ، فقضيت والله من الامر عجبا ، فان عدت
ما من الله به عليك من رجوعك الى سرير ملكك واجتماعك بسربك آمننا
من قبيل النعم فقيده بما تقيد به كما فى كريم علمك ، وان رأته بنظر
آخر فان لله ما فى السموات وما فى الارض ، ولما الاجماع : فلم نر من
العلماء من نهى عن نصح خاصة المسلمين وتسيههم على ما يصلح بهم وبالرعية ، بل عدوه
من الدين للحديث الاول وغيره ، واما ما استشعرناه من امتعاضكم من عدم
الانة القول فى مكاتبتنا لكم فما خاطبناكم قط رعا لذلك ، ولو بنصف ما
خاطب به الائمة الاول اهل زمانهم اتكالا على مطالعتكم لكتبهم ، وعلمكم
بما لم نعلمه من ذلك ولم نروه ، ويكفيكم نصح الفضيل وسفيان واماننا
مالك رضى الله عنهم ، لمعاصريهم من الولاة ومنهم من بكى وانتفع ، ومنهم
من غشى عليه وتوجع ، ومنهم من ندم واسترجع ، الى غير ما ذكرنا على
اختلاف الاعصار ، وتنوع الدول والاقطار ، فبذلك اقتدينا ، وبما كان عليه
أشياخنا وأسلافنا لكم ولاسلافكم عملنا ، كالفقيه شيخ والدنا رحمه الله سيدى
عبد الله الهبطى لجدكم المرحوم بكرم الله ، فطمعت بنجح النصح ونفعه
دنيا واخرى ، فهذا أصل قضيتنا معكم وهلم جرا ، والذكرى تنفع المؤمنين
على كل الاحوال ، والحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد وآله خير آل ، وبتاريخ أواخر ربيع النبوى الانور كته عن اذنه
رضى الله عنه عبد ربه محمد بن الحسن بن ابى القاسم لطف الله به

بمنه ، اه فاجابه السلطان زيدان رحمه الله بما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

من عبد ربه تعالى المقترف المعترف : زيدان بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ، الى السيد أبي زكرياء يحيى بن السيد أبي محمد عبد الله ابن سعيد ، أعاننا الله وإياكم على اتباع الحق ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد ، فقد ورد علينا كتابكم ففضضنا ختامه ووقفنا على سائر فصوله ، ثم اتنا ان جاوبناكم على ما يقتضيه المقام الخطابي ربما غيركم ذلك وادى الى المبالغضة والمشاحنة ، فيحكى عن عثمان رضى الله عنه انه بعث الى على رضى الله عنه واحضره عنده والقى اليه ما كان يجده من اولاد الصحابة الذين اعصوبوا باهل الردة الذين كان رجوعهم الى الاسلام على يد الصديق رضى الله عنه وهو فى كل ذلك لا يجيبه ، فقال له عثمان رضى الله عنه : ما أسكتك ؟ فقال : « ياأمير المؤمنين ان تكلمت فلا أقول الا ما تكره ، وان سكت فليس لك عندى الا ما تحب » ولكن لما لم أجد بدا من الجواب أرى أن اقدم لك مقدمة قبل الجواب ، فلتعلم ان الحجاج لما ولاء عبد الملك العراق وكان من سيرته ما يغنى اشتهاره عن تسطيره هنا ، فتأول ابن الاشعث الخروج عليه وتابعه على ذلك جماعة من التابعين كسعيد بن جبيرة وامثاله من اولاد الصحابة رضى الله عنهم ، ولما قوى عزمهم على ذلك استدعوا الحسن البصرى لذلك فقال : « لا افعل فانتى ارى الحجاج عقوبة من الله فنفرع الى الدعاء اولى » قال بعض فضلاء المعجم : يؤخذ من هذا ان الخروج على السلطان من الكبائر وجواز المقام تحت ولاية الظلم والجور ، وقد علمت ما كان من امر عبد الرحمن بن الاشعث وسعيد وامثاله ، وعلمت قضية أهل الحررة ، لما اوقع بهم جند يزيد بن معاوية بالحرم الشريف ولما بلغه الخبر أنشد:

ليت أشياخى يسدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل
وشاع ذلك عنه وذاع ، وكان على عهد اكابر الصحابة وأولادهم ،

ولا تعرض أحد منهم لنكير عليه ، ولا تصدى لقيام ولا خاطبه بسلام ، وأما ما يرجع الى جواب الكتاب فاما ما حكيت عن الصديق رضى الله عنه فسى أهل البيت والاحاديث الواردة فيهم وأنه يجب تعظيمهم واحترامهم وتبجيلهم لاجل النبي صلى الله عليه وسلم ، فان كان يجب عليكم تعظيمهم فان تعظيمهم يجب على اولى واولى عملا بقوله تعالى : « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى » واجرى الله تعالى عادته انه ما تصدى أحد لعداوة هذا البيت النبوى الا كبه الله لوجهه ، واما ما اوردتم من الاحاديث فى النصح فتنى والله أحب أن تصحنى سرا وعلاية مع زيادة شكرى عليه ، وأراها منك مودة واعدتها محبة ، ولكنى افعل ما اقدر عليه ، لان الله سبحانه يقول : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ولهذا قال اكثر العلماء فى صدور تصانيفهم : « ولم آل جهدا فى كذا » لان النفوس الشريفة العالية لا تترك من فعل الخير والجد فى اكسابه الا ما عز تناوله عليها وصعب اكسابه واما ما ذكرتم من امر ابى محلى وسيرته وما كان تسلط عليه ، أما ما كان من استنهاضكم اليه المرة بعد المرة وتكررت فى ذلك اليكم الرسل حتى اجبت اليه فلا نحتاج فيه الى اقامة حجة غير كونه خرج عن الجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من اراد ان يشق عصاكم فأقتلوه كائنا من كان » والا فلو دخل الملك من بابه وبايعه أهل الحل والعقد واخذ ذلك بوسائل مثل بيعة جدنا المرحوم التى تضافرت عليها علماء المغرب واهل الدين المشاهير ، فلو كان وصل الى ذلك بمثل هذه الوسائل لم يجب حربه ولا القيام عليه بما ذكرتم ، لان السلطان لا ينزل بالفسق والجور ، والا فان الصحابة فى زمن يزيد بن معاوية لا يحصى عددهم ، وما تصدى أحد للقيام عليه ولا قال بعزله ، والا فانهم لا يقيمون على الضلالة ولو نشروا بالمنشير ، واما ابو محلى فبمجرد قيامه يجب عليك وعلى غيرك اعانتا عليه لانك فى بيعتنا ، وهى لازمة لك ، فالطاعة واجبة عليك ، واعلم ايضا ان والدك أفضل منك بدليل : آباؤكم خير من ابائكم الى يوم القيامة ، وكان عمنا مولانى عبد الملك رحمه الله وسامحه على ما كان عليه واشتهر به

اعلانا ، وكان والدك في دولته وبيعته ووفد عليه ولم يستكف من ذلك ولا ظهر منه ما يخالف السلطنة ولا أنكر ولا عرض بما يسوء سلطان الوقت ولا سمع ذلك منه ، فان كان راضيا بفعله فهو مثله ، وان لم يرض فما وجه سكوته والوفادة عليه ؟ وقد تحققت وعلمت ان ولاية أحمد بن موسى الجزولي كادت تكون قطعية واشتهر امره عند الخاص والعام حتى أطبق أهل المغرب على ولايته ، وقد كان على عهد مولاي عبد الله برد الله صريحه وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشتهر عنه ، وما برح الشيخ المذكور يدعو له ولدولته بالبقاء ويظهر حبه ، وكان المولى المذكور يعزل ويولى ويقتل ، وكان قد شرد منه الى زاوية الشيخ المذكور المرابط الاندلسي ، وولد آصناك وامثالهم ، وكان الشيخ المذكور يقدم للشفاة فيشفع ولا يتعقب ولا يبحث عما وراء ذلك باق على عهده ومودته ، وكان المولى المذكور بعث لابن حسين بسد داره فما فتحها حتى امره ، ولا استعظم احد ذلك ولا أكثر فيه ولا جعله سببا لفتح الفتنة ، وكان قواد المذكور مثل : وزيره ابن شقراء وعبد الكريم بن الشيخ وعبد الكريم بن مؤمن العليج والهبطي والزرهوني وعبد الصادق بن ملوك وغيرهم ممن لم يحضرني ذكرهم ، لبعد عصرهم ، قد انغمسوا في شرب الخمر واتخاذ القيان وبسط الحرير وغير ذلك من آلات الفضة والذهب ، وكان في عصره أحمد بن موسى المذكور وابن حسين ومحمد الشرفي وابو عمرو القسطلي ومحمد ابن ابراهيم التامارتى والشيطمي وغير هؤلاء من المشايخ واهل الدين الذين لا يسع من يدعى هذه الطريقة التقدم عليهم ولا اكتساب الفضيلة دونهم فاحسنوا السيرة ، ولا تعرضوا للسلطنة ولا سمع منهم ما يقدح في ولاية الامر وقادة الاجناد ممن ذكر الذين كان الملك يدور عليهم ويرجع في تدبيره اليهم ، ومثل من ذكر من الاولياء كان علامة الزمان وواحد وقته شيخ مشايخ افريقية وبعض أهل المغرب عبد العزيز القسنطيني الشيخ المتكلم الصوفي صاحب «الآيات البينات» ، قد كان من سكان تونس ، وكان ملوك تونس ومن انضاف اليهم على الفساد الذي لا ينحصر واشتهر امرهم

حتى عرفوا به في المشارق والمغرب ، ولم يرح الشيخ المذكور من بينهم
ولا تصدى لتغيير المنكر والامر بالمعروف حتى قبضه الله اليه
واما ما ذكرتم من ان من اعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء
يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله هذه حجة عليك لا علينا ،
لاني ما سمعت في قتل احد ، يعلم الله ، ولا قتل من قتل الا بأمر القضاة
وأهل العلم ان كان . واعلم انه اذا كان هذا يكون وعيدا في قتل الواحد
فما بالك بمن يريد فتح باب الفتنة حتى لا يقف القتل على المئين والآلاف
ونهب الاموال وكشف الحريم الى غير ذلك ، أما تعلم ان فتنة أبي محلي
قد هلك بسببها من النفوس والاموال ما لا يحصى عدده ولا يستوفى نهايته
كاتب ، وكان كل ذلك على رقبته لانه هو المتسبب الاول الفاتح أبواب
الفتنة لانه كان يقتل كل من اتهمى اليها حتى قتل بسببه في يوم واحد
بمكان واحد خمسمائة قتيل ، ولولا ابو محلي ما قتلوا وأعظم في حرمة النفوس من
هذا الذي قلت قوله تعالى : « كذبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير
نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا
الناس جميعا »

وليس في قول المواق ما يحتج به على السلطان وانما هو في أصحاب الخلفاء
على الترتيب الذي كان على عهده مثل اصحاب الشرط ، كصاحب الشرطة
الذي ينفذ أحكام القاضي ، وصاحب شرطة السوق الذي ينفذ الاحكام عن
قاضي الحضرة ، وغير ذلك من الولايات

وولاية ابي محلي لا تعد ولاية حتى يعتبر عزله ، وما عند المواق
وغيره وقفنا عليه وعرفناه وتلقيناه عن الاشياخ الجللة وعرفنا ما عند الشافعية
والحنفية ودرسناه المرة بعد المرة ، ولست ممن ينطبق عليه قوله : أشقى
الناس عالم لم ينفعه الله بعلمه ، ولكن لما ذا تحتج بقول المواق
الغرضك وتجعله حجة ولم تجبنا نحن فيما كذبناك به في يونس اليوسى ،
وقلنا لك قال صلى الله عليه وسلم : « الحرم لا يجير عاصيا » قال الابي :
« وهذا يحتج به على اهل الزوايا » واضربت عن الجواب وليس ذلك من

أدب الجدل ، ولكن اخبرنا عن الوجه الذي منعت به يونس اليوسى من الشرع فان متاعنا عنده ، وامام اهلنا فى داره الى يوم الوقعة ، وترتب فى ذمته للمسلمين من الاموال والدماء ما علمت ، فان كنت ممن يريد العدل فهلا عدلت فيه ، فحينئذ نعلم انك لا تريح جهته ولا تذهب بك النفس مذهبها ، لا جرم حينئذ نكون عند ما تريد ومع هذا لما أمسكنا زوجته وكبت لنا فيها سرخاها ساعة وصول خطابك من غير توقف ، فلو كنت عناديا لعبت بها عبثه هو بامام اهلى وأهل دارى ، على انى ما رددت شفاعتك منذ عرفتك ، بعثت لى على ابراهيم بن يعزى فسرخناه لغرضك ، على انه ترتب فى ذمته ما ينيف على خمسين الف اوقية ، وذلك المال انما يقال له : بيت مال المسلمين ، وانما كان يجب تخليده فى السجن ، وأهل الحصن أخرجناهم منه عن آخرهم وأنفذتم كتابكم بردهم فامرنا بردهم عن آخرهم ، وابن يعقوب اوزال حاكم البلد وشبه الخليفة تركناه على دارنا وحرك من غير اذتنا ولا مشورتنا ، وبعثنا مكانه فانفذت الكتاب فيه فرد لمكانه ، ما عو الامر الذى سافرت كبتك فيه ولا اسرعنا فيه خفافا ؟ واما مسألة أهل آزموور فلما جاء كتابكم عزلنا صاحبه وسرخنا من كان عنده ورددنا الخيل ، وقضية الحناشة : الناس فى شأنهم بالاجتهاد ، وقضية العرب : اعلم ان العرب قد افسدوا الارض واستطالوا سواء هذه البلاد والغرب ، والذى يليق بهم ما أفتى به سخون فى عرب افريقية والمغرب ، ولو طالبناهم بمجرد العشر مدة هذه الفتنة فى المغرب لاتى ذلك على اموالهم ، والناس قد خرجوا عن أطوارهم ، واحبوا الفتن طلبا للراحة ، وانظر كتاب «الافادة» كذا للقاضى واستطالتهم فيه عليه فى قضية شرعية مشروحة فى رسمها القديم ، على انهم أضعف الناس قلوبا ، انظر ما صدر منهم فما بالك بالعرب الذين خرجوا عن الطاعة ، وتساوى الشيخ والصغير فى ذلك ، فان كنت تصفى لمقالانهم واسعاف شهواتهم والتعرض للسلطان دونهم فهذا نفس خراب العالم ،

[*] الحناشة كانوا يبيعون اولاد المسلمين لتنصارى .

وطالع كتاب صاحبنا من عند الرحامنة وما صدر منهم لحديثكم ، ورأيت أن أقدم لك مقدمة أمام هذا ، وإن كانت ادبية قيل لابن الرومي ، وهو على ابن العباس ، لم لم تقل كقول ابن المعتز :

كأن آذريونا والشمس فيه عاليه مداهن من ذهب فيها بقايا عاليه فأجاب بأن قال : « لا يقدر أن يقول هو مثل قولي في وصف الرقافة : ما أنس لا أنس خبازا مرت به يدحو الرقافة وشك الملح بالبصر ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها فوراء كالقمر الا بمقدار ما تنداح دائرة في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر » وقال : « كل منا وصف اوانى بيته » « ورب البيت اعلم بما فيه » ، « واهل مكة أدرى بشعابها » « والصيرفي أعرف بنقد الدينار » وقصة الحضرة والكليم صلوات الله على نبينا وعليهم فيها كفاية لمن يعتبر في خرقه السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار ، والكليم يرد عليه في كل ذلك حتى أنبأه الله بسر ما لم يعلم على أن علم الحضرة في علم موسى كحلقة ملقاة في فلاة ، هكذا قال بعض العلماء ، وقال بعضهم كل منهم على علم خصه الله تعالى به ، ومن هنا جوز ابن عربي الحاتمي في بعض كتبه ، واحسب ان ذلك في « الفصوص » ان الولي الذي يتخذه الله ويصطفيه بمحبته يطلعه على علم لم يطلع عليه الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فقال مشيرا الى نفسه : « أطلعتني الله على علم لم يطلع عليه آدم فمن دونه »

واعلم أن السلطنة لها اسرار لا بد منها وسياسة ينكر ظاهرها ، ولكن نرجع الى غرضك ومرادك ، اخبرنا : كيف تحب أن يسلك الناس في العرب ؟ فان كنت تحب أن يسلك الناس فيهم مسلك مولاي عبد الله فالزمان غير الزمان والاسعار قد طلعت وبلغت النهاية ، والله تعالى قد بعث انبياءه وانزل كتبه بحسب ما يقتضيه الزمان ، وهذا يعرفه من خالط الشرائع والكتب المنزلة واخذ العلم من افواه الرجال ، وادبته مجالس العلم ونحن نلخص لكم الكلام على بعض ما اورد الناس في الخارج : أما ما بنوا عليه فرضه في صدر الاسلام والدول العظام فلا نطيل بذكره

لشهرته ، واما في المغرب خصوصا ، فاول من فرضه عبد المؤمن بن علي ،
 وجعله على اقطاع الارض بناء على ان المغرب فتح عنوة ، واليه ذهب بعض
 العلماء ، ومنهم من يقول : ان السهل فتح عنوة والجبل فتح صلحا ، فاذا
 تقرر هذا ، وعلمت ان اهل ذلك العصر قد بادوا واندثروا ، وبقي السهل
 كله ارضا لبيت المال ، تعين أن يكون الحراج فيه على ما يرضى صاحب الارض
 وهو السلطان ، والجبل تعذر معرفة ما كان الصلح عليه ولا سييل الى
 الوقوف عليه فيرجع فيه الى الاجتهاد ، وقد اجتهد سلفنا الكرام رضوان الله
 عليهم في فرضه لاول الدولة الشريفة على حسب وفق ائمة السنة ومشايخ
 أهل العلم والدين في ذلك العهد ، فجرى الامر على السنن القويم الى ان
 هبت عواصف الفتنة لايام ابن عمنا صاحب الجبل ، وادالة مولانا الامام وضوء
 المرحوم على حواضر المغرب وسهله عند الزحف بالاتراك ، وامتدت به
 الفتنة في الجبل الى ان هلك مع النصارى في الغزوة الشهيرة ، وجاء الله
 من مولانا المقدس بالجبل العاصم للاسلام من طوفان الاهوال ، فقدر رضى
 الله عنه الاشياء حق قدرها ورأى ان المغرب غب تلك الفتن قد فغر فمه
 لالتهامه عدوان عظيمان : الترك ، وعدو الدين الطاغية ، فاضطر رحمه الله
 الى الاستكثار من الاجناد لمقاومة العدو والذب عن الدين وحماية ثغور
 الاسلام ، فدعا تضاعف الاجناد الى تضاعف العطاء ، وتضاعف العطاء الى
 تضاعف الحراج ، وتضاعف الحراج الى الاجحاف بالرعية ، والاجحاف
 بالرعية أمر يستكف رضى الله عنه من ارتكابه ولا يرضاه في سيرة
 عدله طول أيامه ، فلم يمكن له حينئذ الا أن أمعن النظر رحمه الله في
 أصل الحراج فوجد بين السعر الذى بنى عليه في قيمة الزرع والسمن
 والكبش الذى تعطيه الرعية منذ زمن الفرض ، وبين سعر الوقت أضعافا ،
 فحينئذ تحرى رحمه الله العدل فخير الرعية بين دفع كل شىء بوجهه ،
 ودفع ما يساويه بسعر الوقت ، فاختاروا السعر مخافة أن يطلع الى ما هو
 أكثر ، فأجابهم اليه رضى الله عنه ، وعرف الناس الحق فلم ينكروه أحد

من أهل الدين ، ولا من أهل السياسة ، ليت شعري لو طلبنا نحن الرعية
بسر الوقت الذي طلع اليوم الى أضعاف مضاعفة ماذا تقولون ، وقد انتقدتم
علينا ما هو أخف من ذلك . والحاصل راجعوا رضى الله عنكم ما عند الامام
الماوردي فى الاحكام السلطانية فى ضرب الخراج فقد استوفى
الكلام فى ذلك

وأما ما تقضيه من العجب لتعطل أجوبتنا عنك فنحن نراجع أقل
منك ، ولكن كتابك أكد منبأه على قصة أهل آزموور فانفذنا من أخرج
الذى كان به واقصاه عنه وشرد من كان عنده فتوقف الجواب حتى رجع
الحديم فحينئذ أجيناكم بما وصلكم ، وتعجيل الاجوبة وبطؤها فاعلم أن
الذى يقتضى ذلك أمور ، منها أن يكون الامر الذى ورد الخطاب فيه منكم
ما سمعت به ولا بلغتى فتوجه للبحث عنه والفحص عن أسبابه فربما أوجب
ذلك البطء بحسب الاماكن والبلدان فيكون جوابنا على أساس وبهيان ،
وان كان عندنا خبر ما ورد فيه خطابكم فالجواب لا يتأخر ، وقد وقع هذا
منا غير مرة ، وكون تعطيله منشأه مامن الله به علينا من رجوعنا الى
سرير ملكنا واجتماعنا بسربنا آمين ، اعلم أن أهل هذا المغرب لما تما لاوا
على وخرجت الى المشرق والتقيت بالترك والاروام وجالسوني وجالستهم
وخطبوني وخطبتهم ، فمنهم مشافهة ومنهم مراسلة ، وكنت أيام مقامي فى أرضهم
كمقامى على سرير ملكى ، لان كبيرهم وصغيرهم ورئيسهم ومرؤوسهم
كان ينتجع فضلى ويمد كفه رغبة فى نعمتى ، وواسيت الجميع عطاء مترفا
مع قلة الزاد والذخيرة ، وترفعت عن مواساة الامائل والاكابر من العجم
والعرب ، ولا ركنت لاحد ، بل تجودت بما قدرت عليه من الاخبية ،
حتى جعلت محلة برماتها وخيلها ، فترامت على العجم بالرغبة ، وبسطوا
أكف الضراعة فى المقام عندهم والدخول فى جملتهم ، وعرضوا على
الاقطاعات السنية ، والبلادات الملوكية بلطف مقال وادب خطاب ، حتى قال
لى القبطان مراد رئيس المجاهدين : « وما مثلك يكون مع العرب ها نحن
نخدمك باموالنا وأنفسنا ، وبمالنا من السفن حيث اردت وأحييت ، وما

انفصلت عنهم حتى كتبت لهم بخطي : انى أحمل أهلى وحاشيتى وأرجع اليهم الا ان تمكن لى الدخول فى الملك والغلبة على البلاد أو بعضها ، وقلت من عندهم ولم يتعلق بثوب عفاى ما يشينه معهم ولا مع العرب ، ولا كان لاحد على منة ولا نعمة الا فضل الله سبحانه ، وكان فضل الله علينا عظيما .

ثم انى دخلت سجلماسة ، على رغم أنف أهلها وواليتها ، ومنها دخلت لسوس ، وجعلت ولى الله العارف به أبا محمد عبد الله بن المبارك واسطة بينى وبين أخى حتى اجتمعت بأهلى ومالى ، ثم بعث الى الترك باحد بلكباشات اسمه مصطفى صولجى الى السوس راغبين فى انجاز الوعد ، وجنحت للمسير اليهم فرأيت الاهل والاتباع قد عظم الامر عليهم واستعظموا الخروج ، فأسعفت رغبتهم فى المقام بالمغرب ، وشيعت الرسول قافلا الى قومه من سجلماسة عند الدخول الثانى لها ومغالبة أهلها عليها ، وعززته برسول من عندى اليهم بتحف وأموال ، ورد بها عليهم مع رسولهم ، ثم انى اقتحمت مراکش على أهل فاس على كثرة عددهم وعددهم وقتى ، ففتح الله ، ثم خرجت الى السوس مرة اخرى وأوقعت بولد مولاي أحمد الشريف وجموع مراکش ، وقد تعصبوا عليه لانهم شيعة جده ، ففضضته على رغمتهم ، ونازلته بالسهل والحزن حتى امكن الله منه ، وحكم بينى وبينه ، ثم نجم الغوى أبو محلى وغلبت على رأى ، وقد قال من هو أفضل منى مولانا على كرم الله وجهه : « لا رأى لمن لا يطاع » ودخل هذه البلاد وخرجت أنا الى السوس ريثما تجتمع قبائلنا فى المكان الذى كان اجتماعهم فيه الى أن بلغتهم ، وقصد اليهم أبو محلى فقاتلوه ورحل عنهم بعد أن أنضخوا فيه بالقتل ، ثم وافيتهم فكان الحرب بيننا سجلا ، فهل سمعتم خلال هذه الاحوال انى احتجت الى أحد فيما قل أو جل ؟ وهذا كله بحيث لا يخفى عليك ، اللهم الا ان تعدوا الوفاة التى وفدنا عليك من قبيل الانطرار والاحتياج فلا ادرى ، على أنى ما قصدتك لطلب دنيا ، لاننى كنت أسمع ما انت عليه من متانة الدين والصلاح والاقبال على طاعة

الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا غرو ان من كان هذا وصفه كان جديرا بان يقصد للدعاء ولاصلاح القلب ، ولا شك أننا نزلنا دارك وحللنا بمكانك ، ولما وقع الاجتماع بك جرت المذاكرة فى أبى محلى وغيره حتى كتبت الكتاب الذى علمنا عليه ، وهاهو بخط يدك ، فان نسينا بعض ما فيه ولا فعلنا فاخبرنا به ، نستدركه ، وهذه مراكش التى ذكرتم قد كنت فيها كما ذكرتم ، ووقفت على عبد المؤمن بن ساسى وعدته مرة اخرى فى مرضه ، وهل قصده لطلب دنيا أو عرفته لاجلها ؟ ومحمد بن أبى عمرو لما وقفت على المدرسة التى من بناء مولاي عبد الله وقفت عليه فى داره ، وكل ذلك انما نفعله تأكيدا للمحبة وزيادة فى المعرفة بالله ، ولو علمت أن ذلك يعد عيا ويفن أنه نوع من الاحتياج ما كنت والله لاقف على أحد ولو أنه يملكنى الدنيا بحذافيرها ، لان الخير والشريد الفاعل المختار ، فهو أولى بالاضطرار اليه ، وأما سربسى فما تروع قط حتى يأمن ، وأما من كان بالدار التى ذكرتم فانما هم أهلى ومتروك أعمامى . وهذه الدار التى ذكرتم فهانحن تنتقل عنها الى بعض البلاد الغربية البحرية كما قلت لك ذلك مشافهة ساعة قلت لى ينبغى للاشراف بناء بالجبل لوقت ما ، وحكيت ذلك عن والدك ، وأما ما أخبركم به القاضى أيام ورودى الى السوس وقت بلغنى كتابكم الذى نصه : قد اجتمعت اناس وفسدت النيات وتعينت المطامع وأردنا تدبيركم ، لان الملوك أهل التدبير والمراد رجوعنا لاوكارنا من غير وصمة تلحق الجانبين ، فكلما حمل فهو عنى والتزمته الى الآن الا ما طرأ علينا فيه النسيان ، فذكرونا به فانا لا نخرج عنه . واما يمين المصحف وانى حلفت فيه للقائد عبد الصادق فلا والله ما حلفت فيه ولا أحلف لاحد الى لقاء الله ، أما علمت أنى حضرت بيعة الشيخ المأمون صاحب الغرب سامحه الله ، وحضر اولاد السلطان واستحلفهم له الا أنا رضى الله عنه، فانه قال: «فلان لا يحلف لا يحتاج اليه فيما تأمره به ونفعله» وعظم ذلك على اخوتى ، وظهرت فى وجوههم لاجله الكراهية، ولكن الذى قلت لعبد الصادق أحلف للمرابطة فانى

أوفى لك به ، ولا زلت على ذلك لان الذى كنت تقول فى ذلك الوقت :
أخاف أن تقع فى أهل مراکش والاكابر ونحوهم مثل حكومة عبد القادر
ونحوها . أما أهل مراکش فما تعرضنا لاحد منهم حتى تركنا متاعنا لاجلكم ،
كولد المولوع وغيره ، وهذا الميدان والشقراء فابعت من رضيت ينادى فيهم ،
من له حق علينا ننصفه منه ومن خدامى أيضا ، وان كنت سمعت قضية
منصور العكارى ، فالعكارى نزل أهلنا فى خيمته عند وقعة رأس العين
فلما أرادوا الطلوع الى الجبل تركوا أكثر مالهم فى خيمته مع بعض الخدم
خوفا من غائلة البربر لما كان وقع منهم لاهل بابا أبى فارس فأخذ سباطا
من ذهب يزيد على ستين ألف أوقية ، وكان أيام أبى حسون معه وفى
جملته حتى مات القائم فبذل حجته بانجاز عشرين ألفا والباقي حتى يؤديه
على سعة ، وطلب منا أن يتعمل ويتولى بعض الخطط لينتفع ويجمع بعض
ذلك فصرفناه ، حتى اذا جاء أبو محلى ووقع ما وقع طالبناه بمتاعنا وهو
لا يسهه انكاره ، وهكذا عبد الكريم الذى فى زاويتك بنفسه يعلم أن
اخوته أخذوا لى سلعة فى وسط حلتهم وأنا بين بيوتهم تزيد على خمسين
ألفا ، وأخذوا الابل ، وهانحن سكنا عنهم ولا طالبناهم بها ، وأيضا قال لك
انظر ما فعل باخوتى وصرت تكاتبنا وانت لا علم عندك بأصل المسألة ،
وأما الاموال فان الله سبحانه قد وسع علينا من فضله وعندنا ما يكفى
الخامس والسادس من الولد ، وعرفنا الناس وعرفونا وعاملناهم وعاملونا ،
ولو أردت خمسمائة ألف منقال من أصحاب أفلامك ، أو من أصحاب الانجليز
وكنت اليهم فى ذلك ما تأنوا فى بعثه ، ولا لاذوا فيه بمعذرة ، وقد كفانا
الله به والحمد لله على ذلك .

واعلم ان الظن فىك جميل ولولا ذلك ما أعطيتك خمسة آلاف منقال ،
وسمحت بالمال الذى حمل اليكم ابن عبد الواسع أولا وسلعة السفن أخيرا ،
وبهذا كله تستدل على صفاء السريرة وصالح النية ، والله سبحانه يعلم ذلك ،
وأما الامتعاض من عدم الالة القول وحسن الخطاب ، فكما قال تعالى :
« وقولوا للناس حسنا » وانك لم تبلغ ولو نصف ما خاطب به الائمة

رضوان الله عليهم أهل زمانهم اتكالا على علمنا به ، وحسبى نصيح الفضيل
ابن عياض وسفيان ومالك رضوان الله عليهم فهذه المسألة حسبي فى الجواب
منك انتهى ما وقفنا عليه من هذه الرسالة وهى دالة على براعة الرجل فقها
وأدبا وكمال مروءة وعلو همة رحمه الله وغفر ذنوبه



استيلاء نصارى الاصبنيول على المعمورة ونهوض ابى عبدالله العياشى
لجهادهم وانتفاض أندلس سلا على السلطان زيدان رحمه الله



قد قدمنا فى أخبار الوطاسيين ما كان من استيلاء البرتقال على المعمورة
المسماة اليوم بالمهدية ومقامهم بها سنين فلائل ثم جلائهم عنها ، ثم لما
استولى الاصبنيول خذله الله فى هذه المدة على العرائش كما مر
طمحت نفسه الى الاستيلاء على غيرها وتعزيزها باختها ، فرأى أن المهدية
أقرب اليها فبعث اليها الطاغية فيليس الثالث من جزيرة قادس تسعين
مركبا حربية فاتتهوا اليها واستولوا عليها من غير قتال لفرار المسلمين
الذين كانوا بها عنها هكذا فى تواريخ الفرنج .

وقال شارح « الزهرة » كان نزول النصارى بمرسى الخلق سنة
اثنين وعشرين وألف وقيل سنة ثلاث وعشرين بعدها وقيل غير ذلك ،
وكان عدو الله الاصبنيول أراد أن يضمها الى العرائش لينضبط له ما بينهما
من السواحل وتقوى عساكره بهما فخبب الله ظنه ، ولقى من أهل الاسلام
عرق القرية ، وكان ابو عبد الله العياشى بعد رجوعه من آزمور وسلامته
من اغتيال قائد زيدان دخل سلا فى نحو أربعين رجلا وزار ضريح شيخه
أبى محمد بن حسون وبات عنده ، فجاءه أهل سلا وذكروا له ما هم فيه
من الخوف من نصارى المعمورة ، وان مسارحهم قد امتدت الى الغابة
وان النصارى ألغان من الرماة سوى الفرسان فامرهم بالتهيب اليهم .

وفى « نشر المثنى » ما نصه : وفى أواخر جمادى الثانية سنة ثلاث

وعشرين وألف أخذ النصارى المهديّة فكتب أهل سلا الى السلطان زيدان فبعث اليهم أبا عبد الله العياشى الذى كان مقدما بوكالته على الجهاد بدكالة ، وهو يقتضى أن مجيء العياشى الى سلا كان باذن السلطان لا فرارا منه ، والاوّل أصحّ اللهم الا أن يكون مجيئه فارا كان بعد هذا التاريخ والله أعلم .

وأمر أبو عبد الله العياشى أهل سلا بالتهيء للغزو واتخاذ العدة فلم يجد عندهم الا نحو المائتين منها ، وكانت السنون والفتن قد أضعفتها ، فحضعهم على الزيادة والاستكثار منها ، فكان مبلغ عدتهم بما زادوه زهاء أربعمائة ، ثم نهض بهم الى المعمورة فصادف بها من النصارى غرة فكانت بينه وبينهم حرب قربها الى أن غربت الشمس ، فقتل من النصارى زهاء أربعمائة ، ومن المسلمين مائتان وسبعون ، وهذه أول غزوة أوقعها فى أرض الغرب بعد صدوره من ثغر آزمور ، ومنها أقصرت النصارى عن الخروج الى الغاية ، وضاق بهم الحال

ثم ان السلطان زيدان لما بلغه اجتماع الناس على سيدى محمد العياشى بسلا وسلامته من غدره قائده السنوسى بعث الى قائده على عسكر الاندلس بقصبة سلا المعروف بالزعرورى ، وأمره باغتياله والقبض عليه ، ففاوض الزعرورى أشياخ الاندلس فى ذلك ، فاتفق رأيهم على أن يكون مع العياشى جماعة منهم عينا عليه ، وطلبة على نيته ، واستخبارا لما هو عازم عليه ، وما هو طالب له ، فلأزمه بعضهم . وشعر العياشى بذلك فانقبض عن الجهاد ولزم بيته .

ثم ان الله أوقع النفرة بين السلطان زيدان وبين أهل الاندلس ، وذلك أن السلطان المذكور كان قد بعث قبل ذلك الى القائد الزعرورى أن يجهز الى درعة أربعمائة من أندلس سلا ، فجهزهم اليها وطالت غيبتهم بها ، ففر أكثرهم ونفرت قلوبهم عن الزعرورى وسلطانه ، فكان زيدان يبعث الى أهل الاندلس بسلا بتجديد البعث الى درعة فيأبون الانقياد اليه فى ذلك وكرهوه وأزمعوا على خلع طاعته ، ثم وشوا اليه بقائده الزعرورى فبعث زيدان بالقبض عليه فقبض عليه ونهب أهل الاندلس داره ، وكتبوا

الى السلطان بذلك مظهرين طاعته مكيدة ونفاقا، فبعث اليهم مولاه وقائده المملوك عجيبا فمكث بين أظهرهم مدة فلم يعابوا به وصاروا يهزأون به ، ثم عدوا عليه فقتلوه فظهر منهم شق العصا على السلطان زيدان ، وأظلم الجو بينه وبينهم ، وبقي أهل سلا فوضى لا والى عليهم ، وكسر النهب ، وامتدت أيدي اللصوص الى المال والحريم ، وسيدى محمد العياشى ساكت لا يتكلم، واستمر الحال على ذلك الى أن كان من أمره ما نذكره بعد هذا ان شاء الله .

انعطاف الى خبر عبد الله بن الشيخ بفاس والثوار القائمين بها

وما تخلل ذلك

قد قدمنا ما كان من قدوم السلطان زيدان الى فاس أواسط سنة تسع عشرة وألف واستيلائه عليها ثم خروجه عنها واعراضه عنها وعن أعمالها الى آخر دولته ، وكان عبد الله بن الشيخ حياة أبيه الشيخ تحت أمره يصغى اليه ولا يقطع أمرا دونه ، وقيل انه خرج عن طاعته سنة عشرين والف ولما قتل أبوه ببلاد الهبط كما مر استبد عبد الله هذا بفاس وما انضاف اليها على وهن وفشل ريح ، وكان غالب جنده من شراقة ، وشراقة هؤلاء هم عرب بادية تلمسان وما انضاف اليها ، وسموا بذلك لانهم فى ناحية الشرق من المغرب الأقصى ، فأهل تلمسان وأعمالها يسمون أهل المغرب الأقصى مغاربة ، وأهل المغرب الأقصى يسمون أهل تلمسان وأعمالها مشارقة ، لكن العامة يلحنون فى هذه النسبة فيقولون شراقة ، فكان غالب جنده عبد الله من هؤلاء العرب ومن انضم اليهم فهم حماته وأنصاره وبهم كان يعتصم ، حتى أعطاهم أجنة الناس ودورهم ، فكان الرجل من أهل فاس ينأتى بستانه فيجد الاعرابى بخيمته فى وسطه فيقول له : «أعطانيه السلطان» ومدوا أيديهم الى حريم الناس ونهبوا الاسواق وجأهروا بالفساد وأظهروا السكر فى الطرقات ، واقترحوا على الناس دورهم ، حتى ان امرأة كانت تطبخ خليعا وولدها رضيع عندها فاقترح عليها الدار أحد

شراكة فهربت المرأة وأغلقت عليها مشربة لها فلم يقدر لها على شيء .
فراودها على النزول فأبت ، فقال لها : « ان لم تنزلي رميت الولد في
الطنجير » فمادت على الامتناع فرمى به فيه ، فما هو الا أن رأته ولدها
في وسط الطنجير صاحت وألقت بنفسها عليه ، فاندقت رقبتها وماتت ،
فغاض الناس ذلك وأعظموه .

وقام رجل منهم يقال له أبو الربيع سليمان بن محمد الشريف
الزرهوني محتسبا على شراقة ، واعصوب عليه كثير من العامة ، وقاموا
بنصرته ، فقتل شراقة والتلمسانين بفاس حيث وجدوا وحكم السيف في
رقابهم ونفاهم عن فاس ، وحماها من اذياتهم وطهرها من رجسهم ،
فاستحسن الناس أمره واذعنوا اليه

قال في « المرأة » : « وفي يوم الجمعة الحادى والعشرين من ربيع
الاول ، يعنى سنة عشرين والى الف ثار بفاس الشريف ابو الربيع سليمان
ابن محمد الزرهونى ، وعضده الفقيه أبو عبد الله محمد اللمطى المعروف
بالمربوع ، وتبعهما اهل فاس بأجمعهم ، واخرجوا من كان بها من جيش
السلطان وقتلوا كثيرا منهم وجرت في ذلك خطوب آلت بعد سنين الى
انقطاع الملك بفاس وبقي الناس فوضى الى الآن ، اه كلام « المرأة »

وكان ابتداء أمر شراقة واشتداد شوكتهم سنة ست عشرة والى كانوا
ادالة على أهل فاس نازلين بقصة الطالعة وبقصة اخرى وبعض الفنادق
وقرب باب المسافرين ، الى ان قام عليهم الشريف ابو الربيع فى التاريخ
المتقدم ، وكان عبد الله بن الشيخ يوم ثورة ابى الربيع وفكته بشراقة
غائبا فى سلا فلما بلغه الخبر قدم ورام ان يصلح بين أهل فاس وبين شراقة
وراودهم على ذلك فقالوا : « لا . لا » فسميت تلك السنة سنة لا لا . ثم
أمر ابو الربيع اهل فاس بشراء العدة والتهيء لقتال شراقة وخرج اليهم
فاقتلوا خارج باب الجيسة فانهزمت شراقة ، واستتب امر ابى الربيع وسكنت
أحوال المدينة وامن الناس أمانا لم يعهد من زمان السلطان الغالب بالله
وفى يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الثانية سنة عشرين والى كانت

وقعة المترب ، موضع خارج باب الفتوح ، وسيها ان اهل فاس استغاث بهم
الملايكة واستصرخوهم على شراقة مكيدة وحيلة فخرجوا في يوم شديد
الرياح وكمن لهم شراقة بخولان واغاروا عليهم بغتة ، فانهزم الناس وقتل من
أهل فاس نحو الالفين .

وفى « نشر المثنى » سبعمائة فقط ، قال وجلهم هلك بالعطش ،
وغلقت الابواب واضطربت المدينة ، وهاج الشر بسبب ذلك مدة ، ثم
خرج أهل فاس مرة اخرى لقتال عبد الله بن الشيخ فهزموه واسروه ،
وبقى في ايديهم فعضوا عن قتله واطلقوه ، وذهبوا خلفه حتى دخل داره من
فاس الجديد

ولما قتل ابوه الشيخ سنة اثنتين وعشرين كما مر . واتصل خبر مقتله
بابنه عبد الله عزم على الاخذ بثاره من قتليه اولاد ابى الليف ، وازمع المير
اليهم ، وواقفه على ذلك الشريف ابو الربيع والفقيه المربع واصحابهما
وامتعت العامة من الذهاب معهم ، لان الشيخ لم تبق له في نفوس المسلمين
مودة حيث باع العرائش للنصارى ، فاجتمعت العامة بجامع القرويين وقالوا :
« لا نقبل سليمان ولا المربع » وحاصوا حصة حمر الوحش ، واتخذوا
رؤساء آخرين فوقع بسبب ذلك شر عظيم ادى الى قتل الشريف مولاي ادريس
ابن أحمد الجوطى العمرانى التونسى ، وسبب ذلك ان منادى أبى الربيع
مر ينادى في السوق باستنفاذ الناس مع عبد الله بن الشيخ ، فقام اليه
الشريف مولاي ادريس وضربه بعضا وسبه ، فأقبل ابو الربيع ومن معه
واقترحوا على مولاي ادريس دار القيطون وقتلوه على خصتها ، ولما كان
صباح القبر من الغد قام ولد مولاي ادريس و شكاه هضيمته لعلماء فاس ،
فأمروه بالصبر . ثم التف عليه اهل العدو وقصدوا دار ابى الربيع وناوشوه
الحرب ، فرجعوا مفلولين وقتل بعضهم والامر لله وحده ، ووقع الغلاء
حتى بيع القمح باوقيتين وربيع للمد ، وكثرت الاموات ، حتى ان صاحب
المارستان أحصى من الاموات من عيد الاضحى من سنة اثنتين وعشرين
وألف الى ربيع النبوى من السنة بعدها أربعة آلاف وستمائة ، وخرت

أطراف المدينة وختل المدارس ، ولم يبق بلمطة الا الوحوش ، وكثر النهب في القوافل

ولما كان المحرم فاتح سنة ست وعشرين والى قبض الشريف أبو الربيع على أربعة من كبار شراقة ثم قتلهم ، فوجم لها اللمطيون وخاف الناس على المدينة ، وتوقعوا الشر وعظم الرعب في القلوب حتى وقعت بسبب ذلك الهزيمة في كل مسجد من مساجد الحطبة بفاس ، وذلك انه كان امام جامع القرويين ذات يوم يخطب ، والناس في صحن المسجد ، فوقع شؤبوب من المطر غزير ، فابتدر من في الصحن الدخول الى تحت السقف ، فظن الناس ان ابا الربيع قد قصده شراقة فانهزموا وخرجوا من المسجد لا يلوى أحد على أحد ، فبلغ الخبر الى اهل جامع الاندلس فاقتدوا بهم ، وبلغ الخبر الى أهل الطالعة فكان كذلك ، وتتابعت الهزائم بالمساجد

وفي يوم السبت الخامس من صفر سنة ست وعشرين والى قتل الشريف ابو الربيع غدرا في جنازة رجل لمطى خرج اليها ، فقتله الفقيه المربوع ، وقتل اياه وابناء عمه وستة من اصحابه ، ودفن مع والده بمسجد الجرف ، ولما قتل ابو الربيع بقيت فاس في يد المربوع واعصوب عليه اللمطيون ، واشتدت شوكتهم ، ثم قدم جمع من عشيرة ابي الربيع من زرهون وحاولوا الفتك بالمربوع ففطن بهم ووقع بينه وبينهم قتال هلك فيه نحو مائة وثلاثين رجلا وسلم المربوع منها

وقال صاحب « معتمد الراوى » لما قتل ابو الربيع الزرهونى قام اخوه مولاي أحمد يطلب بثاره وساق معه نحو أربعمائة من الزراهنة واقترح بهم فاس ، وقتلوا الفقيه المربوع وشيعته من اللمطين ، فالتف أهل فاس على المربوع وقتلوا معه الشريف يدا واحدة ، فانهزم الشريف وقتل جل من معه ، وكاد يقبض عليه باليد ، ففر الى روضة سيدى أحمد الشاوى ، ومعه نحو الثمانين من اصحابه ، فتبعهم الفقيه المربوع في جمع عظيم من اللمطين واقترح عليهم الروضة ففر الزراهنة الى بيوت دار الشيخ فهجم عليهم المربوع بجنده وقتلهم أجمعين . ثم ان المربوع واللمطين جاءوا برجل يقال

له عبد الرحمن الخنادقي كان يتعبد بزرهون فاستقدموه في جمادى الاولى سنة سبع وعشرين والى وراموا ان يملكوه ويجمعوا عليه ، فانزلوه مع أصحابه في روضة الشيخ ابي الحسن على بن حرزهم ، واتصل الخبر بالقائد أحمد بن عميرة وزير عبد الله بن الشيخ فأتى وفك باصحاب الرجل المذكور ، ولجأ هو الى ضريح الشيخ ابن حرزهم فرموه من طاق هنالك فقتلوه وسقط ميتا على القبر وبطل امره

ولما سئم اهل فاس من الفتن وكثرة الحصار وضاق بهم الحال من غارات الاعراب ذهبوا الى عبد الله بن الشيخ بفاس الجديد ونصروه واطهروا المحبة له ، ففرح بهم غاية ، وتحالفت العامة والخاصة على نصره والاذعان اليه ، فصح عنهم وعفا لهم عما سلف ، وبعث وزيره الى المربوع بالامان فلم يأمن ، وخاف على نفسه ، وصمم مع اللمطين على قتال عبد الله ونهبوا له حتى لم تصل الصلوات الخمس بالقرويين ، ثم ان القائد حمو بن عمرو وزير عبد الله أمر بان ينادى بامان اللمطين ، ففر اللمطيون عن المربوع حينئذ حتى لم يبق معه الا قليل ثم بعث اليه عبد الله بسبخته وخاتمه امانا فلم يأمن وفر ليلا الى بنى حسن فاخذته شيخهم سرحان واتى به الى عبد الله فعفا عنه ، وعادت دولة عبد الله الى شبابها ، واستتب امره وتمهدت له البلاد ، وذلك في جمادى الاولى سنة سبع وعشرين والى ، فجمع الجيوش وبعث بعض جنده لحصار تطاوين ، وبعضهم لقبض الاعشار ، وبعث وزيره حمو ابن عمرو مع المربوع لارجين موضع من جبال الزيب ، فغدر المربوع بالوزير وقتله اعتمادا على كلام سمعه من عبد الله ففضب عبد الله واسرها في نفسه ثم في يوم الاثنين ثالث ربيع النبوي سنة ثمان وعشرين والى قتل المربوع اللمطي ونهبت داره

وقال في « نشر المثنى » قتله عبد الله بن الشيخ ، وعلقه على البرج الجديد خارج باب السبع ، ثم انزله ولعبت عليه خيله ، ثم بعد ايام وظف عبد الله على اللمطين ثمانين الفا فقتل عليهم أمرها فهربوا في كل وجه فاسقط عنهم نصفها ، والله تعالى أعلم

ثورة محمد بن الشيخ المعروف بزغودة^(*) على أخيه عبد الله بن الشيخ
وما وقع في ذلك



قال في « شرح زهرة الشماريخ » لما رأى اهل بلاد الهبط ما وقع
من افتراق الكلمة وتوقد الفتن بايعوا محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على
ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه ، وكان الذى قام بدعوته
الشريف ابو الحسن على بن محمد بن على بن عيسى بن عبد الرحمن
الادريسي المسمى اليونسي المعروف بابن ريسون ، وهى ام جده على
نزىل تاصروت وبايعوه على الكتاب والسنة وعلى احياء الحق وامانة الباطل
فلما بلغ خبره أخاه عبد الله خرج لقتاله ، فالتقى الجمعان بوادى الطين
واقتلوا فانهزم عبد الله وتقدم محمد الى فاس فدخلها واستولى عليها فى
شعبان سنة ثمان وعشرين والى الف ، وقبض على بعض عمال عبد الله فقتلهم
واستصفى اموالهم

وفى آخر شعبان المذكور وقعت الحرب بينهما بمكناسة فانهزم
محمد ودخل عبد الله فاسا فى مهل رمضان من السنة واطهر العفو عن
الخاص والعام ، ثم قتل أهل فاس قائده ابن شعيب واخذوا حذرهم من عبد
الله ثم وقع قتال بين اهل الطالعة واهل فاس الجديد ودام أياما عديدة حتى
اصطلحوا لتاسع رجب من سنة تسع وعشرين والى الف ، ثم ان عبد الله خرج
لقتال أخيه محمد فوقعت المعركة بينهما بوادى بهت فانهزم محمد وفر شريدا
الى ان قتله ابن عمه كما سيأتى ان شاء الله

وفى يوم الجمعة خامس ذى القعدة من سنة اثنتين وثلاثين والى الف قتل

(*) فى النص المطبوع بفاس لنزهة الحادى ابن عودلة وهو قريب التصحيف بزغودة
فليحذر اه وقد ورد وصف ابن عودلة بهذا اللفظ فى تقييد خطى فى تاريخ الدولة السعدية
منسوب لسيدى عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى فظهر ان زغودة مجرد تصحيف .

الفقيه العالم القاضى ابو القاسم بن ابى النعيم بعد ان نزل من صلاة الجمعة بفاس الجديد فقتله اللصوص باب المدرسة العنانية ، وفي « نشر المثاني » قتله اللمطيون بالزربطانة لانهم اتهموه بالميل الى عبد الله بن الشيخ فوقع بسبب قتله شر عظيم بين أهل العدوتين من فاس

ولم يزل عبد الله فى معالجة اهل فاس فتارة يميلون اليه وتارة ينحرفون عنه لفساد سيرته وقبح طويته حتى كان قائده مامى العليج ينهب الدور جهارا ويعطى عبد الله كل يوم على ذلك عشرة آلاف مما ينهب من الناس من غير جريمة ولا ذنب

وقام عليه بمكناسة ايضا رجل يقال له الشريف آمغار وقام عليه بتطاوين المقدم ابو العباس أحمد النقيس ولم يبق فى يده الا فاس الجديد واما فاس القديم فتارة وتارة كما ذكرنا آنفا لانه استولى عليها الشريف ابو الربيع والفقيه المربوع ولما قتل كما ذكرناه آنفا قام بفاس محمد بن سليمان اللمطى المدعو الأقرع وعلى بن عبد الرحمن فقتل ابن سليمان وقام احمد بن الاشهب مع ابن عبد الرحمن المذكور فوقعت فن حروب ثم قام الحاج على سوسان وابن يعلى وتولى أيضا يزور ومسعود ابن عبد الله وغيرهم من الثوار

وكانت فاس أيام هؤلاء على فرق وشيع لا يامن التاجر على نفسه الا ان استجار بأحد من هؤلاء ووقع من الفتن ما أظلم به جو فاس وتتن أفقها العاطر الانفاس ، وخلا أكثر المدينة واستولى عليها الخراب ودام الشر بين أهل العدوتين حتى كادت فاس تضمحل ويعفو رسمها

وحدث غير واحد من الثقات أنه لما دامت الحرب بين اهل العدوتين ولم يكن لاهل الاندلس غلبة على اللمطين قال الشيخ ابو زيد عبد الرحمن ابن محمد الفاسى : لا يغلب احد اللمطين ما داموا مواظبين على قراءة الحزب الكبير للامام الشاذلى رضى الله عنه ، وكانت طائفة من اللمطين يقرأونه كل صباح بزواية سيدى رضوان الجنوى من عدوة اللمطين فسمع لذلك اهل عدوة الاندلس فاحتالوا على ابطال قراءة ذلك الحزب بان بعثوا

أحدا فاحتال على أولئك الذين يقرأونه فاستضافهم فباتوا عنده جميعا في منزله فلما طلع الفجر او كاد زعم ان مفتاح الدار قد سقط منه وتلف ولم يزل يعاني فتحها الى ان طلعت الشمس فخرجوا ، ولم يقرأوا الحزب ذلك اليوم ، واخبر اهل الاندلس بذلك فحملوا على اهل عدوة اللمطين فهزموهم وتحكموا فيهم مع انهم كانوا لم يجدوا اليهم سبيلا قبل ذلك ببركة حزب الشاذلي رضى الله عنه

وذكر بعضهم ان سبب هذه الفترة : ما حكى ان عبد الله بن الشيخ عزم على التنكيل بأهل فاس في بعض غلباته عليهم أيام خروجهم عليه ، فاستشفعوا اليه بالصالحين المجذوبين : سيدي جلول بن الحاج ، وسيدي مسعود الشراط ، وكان من الملامية ، فلما وقفا بين يديه قال : « أما وجد أهل فاس شفيعا غير هؤلاء الحرايين في ثابهما ؟ » فغضب سيدي جلول وقال : « والله لا تصرف فيها - يعنى فاسا - أحد اربعين سنة » ، وانصرفا ؛ فيقال : ان عبد الله بن الشيخ انقلبت معدته فخرج غائطه من فمه أياما الى ان أتى بالشيخين فاسترضاهما ، فكان امر فاس كما قال سيدي جلول لم يطأطيه رؤوس أعيانها سلطان الى ان جاء الله بالمولى الرشيد بن الشريف السجلماسي رحمه الله كما سيأتي ، وانما كان يتصرف فيها رؤساء أهل فاس الذين يسمونهم السياب ، قال اليفرنى : « وهذه حكاية صحيحة سمعتها من غير واحد بفاس » ملخصها ما ذكرنا

ولم يزل عبد الله في محاربة أهل فاس القديم من سنة عشرين وalf الى ان توفى يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنتين وثلاثين وalf بسبب مرض اعتراه من اسرافه في الخمر وادمانه عليه وكان لا يفارقه ليلا ولا نهارا ويتعاطاه سرا وجهارا

قال في شرح « زهرة الشماريخ » : « ولما توفى عبد الله ولي بعده اخوه عبد الملك في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وalf ولم يزل مقتصرا على ما كان قد صفا لآخيه الى ان توفى في ذى الحجة سنة ست وثلاثين وalf ومن آثار عبد الله بن الشيخ : القبة التي على الحصة الكائنة اسفل

المنارة التي بوسط صحن جامع القرويين : فانه لم يكن في القديم الا الحصة
المقابلة لها شرقي الجامع المذكور

- غريبة -

قال اليفرنى : حدثني شيخنا الفقيه ابو الحسن على بن أحمد قال :
« كان شيخ شيوخنا الفقيه الامام ابو عبد الله محمد بن أحمد ميارة يقول :
ان احمد بن الاشهب الذي تقدم ذكره قبل في الثوار اخبر به النبي صلى الله
عليه وسلم قال : والحديث بذلك مذكور في كتاب الجامع الكبير للحافظ
جلال الدين السيوطى رحمه الله » اه وقل ولد ابن الاشهب رابع جمادى
الاولى سنة خمس واربعين والى ففك به على بن سعد في جامع القرويين
وهو في صلاة العصر ، وقامت بسبب ذلك حرب بين اهل الاندلس
واللمطيين ، وانتهت السلع التي بسوق القيسارية وسوق العطارين وبنى
اللمطيون الدرب الذي بباب العطارين واستمرت الحرب نحو ثمانية أيام
ثم اصطلحوا

—

ثورقلا بى زكرياء بن عبد المنعم بالسوس ومغالبتة لابي حسون السملالى
المعروف بأبى دميعة على تارودانت

■

كان الفقيه أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم
الحاحى لما رجع من مراكش الى السوس حسبما مر بدا له في طلب الملك
وجمع الكلمة لما رأى من افتراقها في حواضر المغرب وبواديه
وكان المرابط ابو الحسن على بن محمد بن محمد بن الولي الصالح
ابى العباس أحمد بن موسى السملالى ويقال له ايضا : ابوحسون قد ظهر
بالصقع السوسى عند فنل ريج السلطان زيدان به واستولى على تارودانت
واعمالها .

فلما نار الفقيه ابو زكرياء سار الى تارودانت فتغلب عليها وملكها
من يد ابى حسون المذكور وبعد ان وقع بينه وبينه معارك ومقاتلات كبيرة ،

وكان القاضي بتارودانت يومئذ الفقيه العالم ابو مهدي عيسى بن عبد الرحمن
السكتاني ، وكان أبو زكرياء قد استشاره فيما عزم عليه فلم يوافق على ذلك
ولم يساعده على مراده لما فيه من الخروج على السلطان بلا موجب ، فغضب
عليه الفقيه ابو زكرياء حتى أمر بقتله غيلة فيما قيل ، فخرج القاضي من
المدينة خائفا يترقب ، وذهب الى مراكش فاستقر بها وعصمه الله منه وكتب
الى أبي زكرياء برسالة يعظه فيها وينهاه عن الخروج على السلطان ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

يقول الفقير الشديد الحاجة الى رحمة مولاه الغني به عمن سواه ،
السائل منه التوفيق واللفظ في ظعنه ومأواه ، كاتبه عيسى بن عبد الرحمن
السكتاني عفا الله عنه وسمح له : الحمد لله الذي جعل الصدع بالحق وظيفة
الانبياء ، واورثه بعدهم من خلقه فريق العلماء ، والصلاة والسلام على من
أكد امر الصلح وقال : «الدين النصيحة» فقيل : لمن يارسول الله ، فقال :
« لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم » والرضا عن آله وصحبه الذين
سلكوا سبيله واتهجوا من المناهج طريقه ، وعن التابعين وتابع التابعين
لهم الى وقوع القصاص بين الخليفة ، وبعد ، فاني لما فقلت بحمد الله بسلامة
وعافية الى جبلي وجدت أهلي واولادي ، مستوحشين من البادية وان كانت
محل سلفي ومقر تلادي ، بعد أن الفوا الحواضر وطبعوا على طباعها فكانوا
أحق بها ، وكنت في غاية الضيق والتأسف لما حل بالاولاد فتذكرت قول
بعض فقهاء الاندلس ممن نابيه مثل ما نابني واحابه مثل ما احابني :

أليس من القبيح مقام مثلي بدار الحسف منكسف الجمال

أخالط أهل سائمة وسرح وأرتع بين راعية الجمال

فأجلت فكري ، وان كان الكل بقدر الله وارادته ، فرأيت أن ذلك ،
وفي القضاء لطف ، أمر أنتجه ، كما لا يخفى على ذي بصيرة ، ما حل
بالمغرب من افتراق الكلمة ، وتلاعب شياطين الانس والجن بذوى العقول
منهم فصاروا أحزابا وفرقا ، فاتبعت كل طائفة من هواها ما كانت تعبد ،

حتى اذا عرض لعافل أو عرض عليه منهم الاقلاع بادره الشياطين فسدوا عليه بابه ، وأروه باغوائهم وزينوا له أن ذلك يشينه لدى العامة ويوجب له السقوط من أعين الناس ، مع انه لا يعده من السقوط الا الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ، وأين يغيب عن الموفق ان السقوط من عين الله هو الطامة الكبرى ، وأين غاب عنه أن العبرة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا بكلام الهمج الرعاع ممن لا يزال الشيطان يلعب به آخذاً بزمامه ساكناً على قلبه ولسانه ، وأين يغيب عنه من كتاب الله : « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى ؟ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » فقلت : انا لله وانا اليه راجعون هذه مصيبة عظيمة نزلت بمغربنا فافترق ملائمتهم وقتلت سرواتهم وانتهبت أموالهم وهتكت حرمتهم ومزقت أعراضهم وفسدت أديانهم واختلت وبدت عن التوفيق آراؤهم وكادت تطمع بل طمعت فيهم أعداؤهم اللهم ياذا الطول والامتنان يا حنان يا منان يا ذا الجلال والاكرام تداركنا بالظافك الحفية فى ديننا ودنيانا يا خالق الارض والسماء .

فان قلت : ما ذكرته من أن خروجك من الحواضر الى البوادي هو نتيجة افتراق الكلمة كما فعله من يقتدى به من الصحابة رضى الله عنهم فبئس صحیح ، وما دليلك على التلاعب ؟ قلت : ما خرجه أئمة الصحاح من منع الخروج على الائمة وان الواجب فى حق من رأى منهم ما يكره الصبر والاحتساب اذ غائلة الجور ، وان تفاحش ، أقل بكثير من غائلة الخروج الذى يترتب عليه فساد المهج والاموال والاعراض والاديان وهتك الحرم ، ولهذا صبر على الحجاج من علماء الصحابة والتابعين من صبر حتى لقوا الله تعالى سالى الاديان ، وعبادته مقتضى الزمان ، وتذكر ، فما بالعهد من قدم ، بالمرابط أبى محلى كان فى قطره عالى الصيت يقصد ويتبرك به ويعتقد فيه أنه قطب زمانه ، وبلغ به الحال الى أن سولت له نفسه أو سول لها انه يصلح به مالم يصلح بغيره من أهل الزمان فقام وأعانه عليه قوم

آخرون حتى ملأ الدنيا صياحا ودعاوى وعياطا وأكاذيب لا يشهد لها عقل ولا نقل فتمرد على المسلمين حتى لم يسلموا من لسانه ويده ، فقتل ونهب وسب واغتاب وحمل نفسه مالا تطيقه فاستهوت به شياطين الانس والجن والنفس والهوى ، ثم بعد ذلك كله لم يحصل من سعيه على طائل وآفته الغفلة عن الكتاب والسنة والرضا عن النفس حتى أنه حكمها فصارت تلعب به الى أن فاه وادعى بدعاوى استيخ بها ما كان معصوما من دمه ، وهلكت بسببه بعده نفوس وأموال وغير ذلك ، أيشك من ارتاض بالكتاب والسنة ونظر بعين الشريعة ان فعله ذلك مما حمله عليه من تجب مخالفته من الشيطان والنفس والهوى ؟ وربما استحسنت فعله ذلك من شيعته من ابتلى به أو قلده تقليدا رديا في فعله « فان توليت فانما عليك اثم الاريسين » والى الآن كانوا يستصوبون فعله ويستحسنون قوله مع انه بمعزل عن الكتاب والسنة .

فان قلت : وهذه طائفة الفقراء ما بين متعصب متحزب ومتحيل متصيد ومتسور على ما استأثر به الباري من الغيوب مرتكب للآثام مصر على العيوب ، قلت : وهذه طائفة الفقراء فيها جل ما تقدم وزيادات تضيق عن الاحاطة بها السطور والطروس قد بددتها ، والعياذ بالله ، الفتن ، وشردها ما تخوفته من المحن ، بانت العلوم واضمحلت الفهوم وتعطلت الرسوم فلا منطوق يذكر ولا مفهوم ،

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود قلت : وهذا الشيخ أبو زكرياء ، وهو الذي يساق الى نصحه الحديث ، كنا نستسقى به ونستشفى ، وكانت تشد اليه الرحال ولا يأنف من اتيانه النساء والرجال ، قد أتته من أقطار مغربنا الوفود ، ودانت له الذئاب والاسود وكان يعلم الجهال ويهدى الضلال ، ويطعم الجائع ويكسو العريان ، ويعين ذا الحاجة ويغيث اللهفان ، وبهي سبيل يالها من سبيل ، وطريقة ما أحسنها من طريقة ، ثم صارت تلك الجموع ، وكان أمر الله قدرا مقدورا ، أيدي سبا . وتلاشت شذر مدر ما لها من نبا .

أيها الشيخ أكرمك الله بتسديده ، أو تجد في الوجود ملكا أعظم من ذلك الملك فطلبه ، أو سلطانا يوازيه أو يقاربه فتحاوله ، أين خفى عليك الشيء وهو ضروري ؟ أم أين ضلت عنك النصوص من الكتاب والسنة وأنت منقولى معقولى ؟ « ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق؟ » « لمت الله أكبر من مقتكم أنفسكم » « وان أبغض الكلام الى الله أن يقول الرجل للرجل : اتق الله فيقول : عليك نفسك » وهو طرف من حديث خرجه النسائي : قد وعظتك وذكرتك ان نفعت الذكري . قال جل من قائل « وذكر فان الذكري تنفع المؤمنين » .

فقلت من التعجب ليت شعري أيقاظ أمية أم نيام فان قال شيطان من شياطين الانس أو الجن : هذا ما أريد به وجه الله ، قلت : الله الموعد ، اياكم والظن ، فان الظن أكذب الحديث ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وان خطر هذا وهجس بقلب الشيخ أكرمه الله ، والشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، قلت : ادل دليل على اني قصدت محض النصيحة . هو انه استنصحنى على دفاع أبي محلى فنصحته وقلت له : ان هذا لا تستقيم معه الديانة فكأنه ما قبل فانفصلت عنه وهو يقول : استخرلى الله فكاتبته بان لا يفعل ، ثم لما نزل وكان على باب الغزو من تارودانت خلوت به فقلت له اذ ذاك : ان الناس يقولون كذا وكذا وعرفته اذ ذاك بما عرفته من أبناء الزمان ، فجمعنا في رملة الى الآن أتخيل حرها ، وتبراً من كل ما يقال ، وما زلت على المنع الى أن جاءت كرايس من قبل أبي محلى فتأملت فوجدتها مشتملة على كفريات في جزئيات ، فحينئذ شرح الله صدرى لاباحة دفاعه .

ثم وان قلت ذلك ، فنفسى آمرة ولا أقول في نفسى ما كان يقوله مسجون في قضية ابن ابي الجواد : « مالى وله الشرع قتله ، ولو قلت أو غششت لغششت في قضية ذلك الرجل وزينت لك قتاله أولاً لان ذلك هو مقتضى التعصب للامير واذ لم أتعصب اذ ذاك فكيف أستسهله الآن ، فتعين أنى نصحت لكم ان قبلتم ، ولا فكما قال تعالى عن نبي من أنبيائه : « ولكن

لا تحبون الناصحين» أنشدك الله الذي باذنه تقوم السماوات والارض أما قلت لك بعد رجوعي العام الاول من مراكش بل الذي قبله : ان العذر لا يحسن ؟ وصرحت ولوحت بان شق العصا لا يحل غير مرة ؟ وما كفاني القول الدال على ذلك الى أن زدت الفعل بالخروج من مدينة لا أبغضها كما قال :

فوالله ما فارقتها عن قلى لها واني بشطى جانبها لعارف
ورضيت بالبادية ، مع جفائها ، فرارا من الفتن ، وعملا بقوله صلى الله
عليه وسلم : « يوشك أن يكون خير مال الرجل غنما يتبع به سعف الجبال
ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » ثم بعد ، فعلى هذا كله ، نصحت فلم
أفليح وخانوا فافلحوا ، وعدوا على من القبائح طاعنى للائمة مع انك يوم
جاء الى دارك قلت لهم : « هذا أميركم » ، ونحن لا نشك أنك من
المعتبرين فى مغربنا وان بيعتك لاحد لازمة لنا ، وكذلك حين ذهبت الى
مراكش فى وقعة أبى محلى قد أراد أهل مراكش فابيت ، وأبحت البلاد
لخدم الامير وقلت لهم : انه الامير . وفهمه الناس عنك بلسان الحال
وبلسان المقال ونصروه بمرأى منك وسمع ، أفشك بعد أن كان منك هذا
انك مباح وانت قدوة ؟ واذا كان هذا فإى حجة لك على الامير ولا على
المأمورين ؟ فمن زين لك قتاله فقد غشك اذ هو مسلم وابن مسلمين .

فان قلت : موافقتى مشروطة بشروط لم يوف لى بها ، قلت : هب
انه لم يوف لك أفستبيح قتاله لاجل ذلك ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم
يقول : « اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار » الحديث .
بإلله أيها الشيخ ما تقول فى هذا الحديث وأنظاره ؟ وما تقول فيما انتهب
أو عسى أن ينتهب من أموال الناس وأخذ بغير حق وأنفق فى سبيل
الطاغوت والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحل مال امرئ مسلم
الا عن طيب نفس ؟ » أو ما تستحى من ربك يوم تسأل عن النكير
والقطمير ، ولست ممن خفى عليه ذلك كله فتعذر عند المخلوقين ؟ أو ما
علمت أن كثيرا من العوام يعتقد جواز ذلك اذ رآك ارتكبته فتكون قد

سنت هذه السنة وظل بسبب ذلك كثير من الناس ؟ أو ما خشيت دعوة المظلوم التي ما بينها وبين الله حجاب ؟ أو ما كنت تعير من يرتكب مثل ذلك من الولاة وتأسف عليه ؟ « لا تعير أخاك المؤمن » الحديث

لا ته عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

أما انتبهت لما وقع لاهل درعة من النهب والسلب واسترقاق الاحرار وهتك الحرم ؟ « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » الحديث . وقد أتانا السؤال من قبل الشيخ عن صنيع سكانه ذلك ولم يستطع اذ ذاك من نظر بنور العلم أن يقول لهم في وزر نظرا الى ما آل اليه الحال في اهل درعة مع أن جلهم حملة القرآن وعامتهم بله « وأكثر أهل الجنة البله » . أفيليق بحق الصلحاء أن يسلط عليهم من لا يرحمهم ؟ « ولا تنزع الرحمة الا من قلب شقى » « انما يرحم الله من عباده الرحماء » « من لا يرحم لا يرحم » « ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » أو نسيت أنه يقتص للجماة من القرناء ؟ وان الظلم الذي لا يتركه الله ظلم الناس بعضهم لبعض ؟ أفى علمك أن حسناتك تفسى بما عليك من التبعات ؟ او انه لا تباعة لاحد عليك ؟ ولو كنت بدرية لاحتمل أن يقال في شأنك : ما قاله صلى الله عليه وسلم لعمر : وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟ » أو كما قال عليه السلام ، « والظلم ظلمات يوم القيامة » أو تستطيع أن تقتحم ظلمات الصراط وأنت مسئول عن الصراط ؟ وحتى أهل تارودانت بلغنا انه لم يغن في شأنهم الترويع بل بلغ بهم الحال والجور الى التفرع ، فاتق الله أيها الشيخ ولا تكن كمن اذا قيل له : « اتق الله أخذته العزة بالاثم » هذا ما يتعلق ببعض حقوق الناس على العموم ويتعلق بحقي كاتبه على الخصوص ، انك أخذت عليه أن يؤدي الطاعة للامير ويرعى .! هو من شيم المؤمنين من حسن العهد والتبرى من الغدر وشق العصا بعد ان بذل وسعه في نصحك ونصح الامير ، وحاول بكلية على جمع الكلمة وتعب في ذلك واقتحم فيه عقبات لا يقطعها الا بازل ، ولا سبيل اليها لمن يكون في دينه وعمله مثلى

من هو نازل :

لعمري أيبك ما نسب المعلى الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا افشعرت وصوح نبتها رعى الهشيم
اذا غاب ملاح السفينة فارتمت بها الريح هوجا دبرتها الضفادع
ولكن ليس من شرط النصيحة كمال الناصح كما انه ليس من شرط
تغيير المنكر عدم ارتكاب المغير ما غير ، لان هذه طاعة وتلك أخرى ،
والتوفيق بيد الله سبحانه ، نعم بلغنى مع ذلك وجزم لى به أنك مع
بذل النصح لك وللأمير أصلح الله الجميع وأصلح ذات بينهم أخذت
على بالرصد فى قفولى لصيتى والرجوع اليهم رعاية لما يجب ويندب من
بحقوقهم ، وهل هذا الا حكم الهوى والشيطان ، أعندك ما تستيح به ذلك ؟
مع أنى والحمد لله أينما كنت لا أسمى الا فى مصلحة جهد الاستطاعة أو
بث نصيحة حين لا أرى من يشها ، أو اغانة ملهوف حين تجب اغائته ،
« لئن بسطت الى يدك لتقتلنى » الآية ، ولكن الله عزوجل يقول : « ولا
يحيق المكر السىء الا بأهله » وفى التوراة : « من حفر حفرة فليوسعها ،
ولا تحفرن بثرا تريد بها أخا » فاین وجدت ما يسوغ لك ارتكاب مثل هذا
قولا او فعلا او اشارة أو تصريحاً او تلويحاً ؟ وای جريمة توازی هذه
الجريمة ؟ او كبيرة من الآثام أكبر منها ؟ والله الموعد ، وسيعلم الذين
ظلموا أى منقلب ينقلبون ، هذا ، والسعاية المصحوبة بسؤالى عن دفاع سكتانه
أین تجدون ما يوجب اباحتها ؟ أين غاب عنكم انها من الكبائر ؟ واین
غاب عنكم قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الرجل ليتكلم بكلمة يهوى بها فى النار
سبعين خريفاً ؟ » أهذا من اخلاق المومنين والصالحين ؟ وانت من بيت
الصلاح ، ما كان جدك يرضى مثل هذا « وما كان أبوك امرأ سوء » وهذا
والله اعلم نتيجة قرناء السوء ، ولا تصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك
على الله مقاله ، والى هذا ينتهى حق الصحبة اعنى بذل النصح ، ان الله
يسأل عن صحبة ساعة ونحن صحبناك واعتقدناك ونصحناك ووعظناك
« انصر اخاك ظالماً او مظلوماً » فنصرناك بالرد الى الجادة ، اين انت من مولانا

الحسن بن علي اذ تخلى عن الامر لابن عمه معاوية مع انه هاشمي علوي
فاطمى احدي ریحانتی النبی طی الله علیه وسلم ومعاوية اموی یجمعهما
عبد مناف ؟ فتخلى عن الامارة مع انه امام وابن امام واصحح الله به ، وهو
سيد ، بين فئتين عظیمتين من المسلمین ، بعد ان كان یلقب بامیر المؤمنین ،
فقال له بعض اصحابه اذ سلم علیه : « یا عار المؤمنین » فلم یكثر بذلك
وقال : « النار أشد من العار » ألهمنا الله وایاکم رشد انفسنا وجعلنا وایاکم
من الذین یستمعون القول فیتبعون احسنه : انتهى

ولم یزل الفقیه أبو زکریاء مصمما علی طلب جمع الكلمة الی ان اخترمته
المنية : قال صاحب الفوائد ما صورته : قام الشیخ ابو زکریا بجمع الكلمة
والنظر فی مصالح الامة واستمر به علاج ذلك الی ان توفی ولم یتم له امر
انتهی ، وكانت وفاته لیلۃ الخميس سادس جمادى الثانية من سنة خمس
وثلاثین والف بقصبة تارودانت وحمل من الغد الی رباط والده فدفن
بجنبه رحمه الله



بقية اخبار السلطان زيدان وذكر وفاته رحمه الله



قد ذكر المؤرخ لويز البرتقالى فى كتابه الموضوع فى اخبار الجديدة شيئا من أخبار السلطان زيدان رحمه الله فقال : « كان السلطان زيدان صاحب مراكش مسلما لنا كفا عن حربنا وكانت القبائل تفتت عليه فى غزونا فكانت غاراتهم لا تنقطع عنا ، وكان هو ايضا معهم فى شدة ومكابدة من اجل اعوجاجهم عليه » ثم ذكر ان من جملة من غزاهم فى دولته السيد سعيد الدكالى قلت : واطنه والد السيد اسماعيل صاحب الزاوية المشهورة ببلاد دكالة ، قال : فهض سعيد بحال وغيره وامتعض للإسلام وسار الى الجبل الاخضر وغيره فجمع الجموع نحو اثني عشر الفا وزحف بهم الى الجديدة ، ووافق على ذلك قائد آزموور وبعض أشياخ الشاوية ، وكانوا فى نحو مائتين وخمسين من الحيل ، وارتاع النصارى منهم وخافوا خوفا شديدا ، وامرهم فائدهم بالجدي فى حراسة الاسوار والانقاب ، وان يدوا باب الجديدة ولا يفتحوا منه الا خوخته ، وحاصروهم المسلمون ثلاثا ثم قضى الله بوفاة السيد سعيد فافترق ذلك الجمع . قال لويز : « مات أسفا على ما فاته من الفتك بالنصارى كما يجب »

وفى سنة أربع وثلاثين والى الف خرج السلطان زيدان مسن مراكش وقصد ناحية آزموور ولما انتهى الى الموضع المعروف بام كرس من بلاد دكالة حمل اليه نصارى الجديدة هدية نفيسة ، ثم قدم ثغر آزموور فى نحو اربعين الفا من الحيل على ما زعم لويز ودخل البلد ، واخرج أهل آزموور عدة مدافع من البارود فرحا به ، ولما سمع نصارى الجديدة بذلك اخرجوا مدافعهم ايضا فرحا بالسلطان وادبا معه

وفى سنة ست وثلاثين والى الف ثار على السلطان زيدان الفقير ابراهيم كانتوت هكذا سماه لويز ، ولم ادر من هو ، قال : وفى خامس عشر

من دجنبر من السنة تواقف جيش التائر المذكور مع جيش السلطان للحرب ببلاد دكالة ، وكان جيش السلطان يومئذ الفا وخمسمائة فقط ، وجعل على مقدمته ابنه عبد الملك ، فانهزم ابراهيم وقتل ، وقتل جماعة كثيرة من اصحابه وقبض على ولده فبعته السلطان مع عدد وافر من رؤوس اصحابه الى مراکش واخرج نصارى الجديدة المدافع ايضا فرحا بهذا الخبر ، فبعث اليهم السلطان زيدان بفرس احمر لقائدهم اكراما له ، وكتب اليهم بكتاب تاريخه سادس رمضان سنة ست وثلاثين والالف مكافأة لهم على ادبهم معه ، انتهى كلام لويز وقال اليفرنى رحمه الله : « كان السلطان زيدان من لدن مات ابوه المنصور وبويج هو بفاس فى محاربة مع اخوته وابنائهم ومقاتلة مع القائمين عليه من التوار الذين تقدم ذكر بعضهم ، ولم يخل قط فى سنة من سنى دولته من هزيمة عليه او وقعة باصحابه ، ووقعت بينه وبين اخوته معارك يشيب لها الوليد ، وكان ذلك سبب خلاء المغرب ، وخصوصا مدينة مراکش ، ومما عد من نحس زيدان واستدل به على فشل ريجه انه فى بعض الوقائع بعث كاتبه عبد العزيز بن محمد التعلبى بعشرة قناطير من الذهب الى صاحب القسطنطينية العظمى وطلب منه ان يمدده ببعض اجناده كما فعل مع عمه عبد الملك الغازى ، فجهز له السلطان العثمانى اتنى عشر الفا من جيش الترك وركبوا البحر فلما توسطوه غرقوا جميعا ولم ينج منهم الا غراب واحد فيه شرذمة قليلة ،

وقال منويل : ان قراصين الاصبينول غنمت فى بعض الايام مركبا للسلطان زيدان فيه اثناث نفيسة من جملتها ثلاثة آلاف مفر من كتب الدين والادب والفلسفة وغير ذلك

قال اليفرنى : « وكان زيدان غير متوقف فى الدماء ولا مبال بالعظام

(*) قضية اخذ الاصبان لكتب زيدان شهيرة فى كتب الافرنج وتوارىخهم فلتراجع فيها ولا بد والكتب لا زالت محفوظة بخزانة الاسكيريال قرب مادريد وقد دعت الحكومة الاصبانية فى وقتنا هذا وهو ١٣٤٢ احد الفرنسوين لجعل برنامج لها

قلت : وهو مخالف لما ذكره زيدان في رسالته التي خاطب بها ابا زكرياء
المتقدمة من انه ما سعى في قتل احد الا بفتوى اهل العلم والظن بزويدان
انه ما قال ذلك الا عن صدق ، والا فمن البعيد ان يفخر على خصمه ويدلى
بشيء هو متصف بضده

وكان زيدان فقيها مشاركا متضلعا في العلوم وله تفسير على القرآن
العظيم اعتمد فيه على ابن عطية والزمخشري

قال اليفرنى : « وكان كثير المرء والجدال كما وقع له مع الشيخ
ابى العباس الصومعى » قلت : الذى وقع له مع الصومعى هو انه لما الف
كتابه الموضوع فى مناقب الشيخ ابى يعزى رضى الله عنه وسماه « المعزى »
بضم الميم وفتح الزاى بصيغة اسم المفعول من الرباعى عارضه زيدان ، وهو
يومئذ بتادلا واليا عليها من قبل ابيه ، بانه لم يسمع الرباعى من هذه المادة
وانما قالت العرب : عزاه يعزوه ثلاثيا ، فاصر ابو العباس رحمه الله على
رأيه الى ان لطمه زيدان على وجهه بالنعل ، فشكاه الى المنصور فقال له :
لو لطمك وهو المخطفى لعاقبته اما اذا كان الصواب معه فلا

قلت : كان زيدان يومئذ فى عنفوان الشبيبة فصدر منه ما صدر
فان يك عامر قد قال جهلا فان منظمة الجهل الشباب
ومع ذلك فما كان من حقه ان يفعل ، واظن ان انتكاس رأيه سائر
أيامه انما هو اثر من آثار تلك اللظمة ، فان لله تعالى غيرة على المتسبين
الى جنبه العظيم ، وان كانوا مقصرين ، فنسأله سبحانه ان يجنبنا موارد
الشقاء ويسلك بنا مسالك الرفق فى القضاء ، وللسلطان زيدان شعر لا بأس
به منه قوله :

فتنتنا سواف وخدود وعيون مدعجات رقود
ووجوه تبارك الله فيها وشعور على المناكب سود
أهلكنا الملاح وهى ظباء وخضعنا لها ونحن اسود
وقوله :

مررت بقبر هامد وسط روضة عليه من النوار مثل النمارق

فقلت لمن هذا فقالوا بذلة ترحم عليه انه قبر عاشق
وكانت وفاته رحمه الله في المحرم فاتح سنة سبع وثلاثين والى ،
ودفن بجانب قبر أبيه من قبور الاشراف قبلى جامع المنصور من قصة
مراكش ومما نقش على رخامة قبره قول القائل :

هذا ضريح من به تفتخر المفاخر
حامى حمى الدين بسكـ ل ذابل وبتـر
لا زال صوب رحمة الله عليه ماطر
أرخ وفاة من غدا جارا لرب غافر
زيدان سبط أحمد مبتكر المآثر
أجل من خاض الوغى وللإعادي قاهر
ومن شذا رضوانه نفحة كل عاطر
بمقعد الصدق علا أبو المعالى الناصر

ووزراؤه: الباشا محمود ، ويحيى آجانا الوريكى وغيرهما ، وكتابه :
عبد العزيز الفشتالى كاتب ابيه ، وعبد العزيز بن محمد التغلبى وغيرهما ،
وقضاته : ابو عبد الله الرجراجى وغيره ، وترك عدة اولاد منهم : عبد الملك
والوليد ومحمد الشيخ ، وهؤلاء ولوا الامر بعده ، وأحمد وغيرهم
رحم الله الجميع

الخبر عن دولة السلطان ابي مروان عبد الملك بن زيدان رحمه الله

لما توفى السلطان زيدان رحمه الله فى التاريخ المتقدم ببيع بعده ابنه
عبد الملك ، ولما تمت له البيعة نار عليه أخواه الوليد واحمد فووقت بينه
وبينهما معارك وحروب الى أن هزمهما واستولى على ما كان بيدهما من
العدة والذخيرة ، وفر احمد الى بلاد الغرب فدخل حضرة فاس يوم الجمعة
الحامس والعشرين من صفر بعد وفاة أبيه ستة واربعين يوما فاتسم بسمة

السلطان وضرب سكه ، وفي ثالث عشر شوال من السنة عدا على ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بزغودة فقتله غدرا بالقصبة ، ولما كان الحادى عشر من ذى الحجة سنة سبع وثلاثين والف أخذ احمد المذكور وسجن بفاس الجديد على يد قائدهم عبو وباهو وبقي مسجوناً سبع سنين ثم خرج من السجن مستخفياً بين نساء فى سابع رجب سنة اربع واربعين والف واعلن العامة بنصره ولم يتم له امر ، ثم توفى قبلاً فى الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة احدى وخمسين والف رضى برضاة من بعض العامة فكان منها حنفة وذلك بفاس الجديد ولم يتم له امر

ظهور أبى عبد الله العياشى بسلا ومبايعة اكابر عصره له

على الجهاد والقيام بالحق



قد تقدم لنا انتفاض اندلس سلا على السلطان زيدان وقتلهم مولاه عجيباً فبقيت سلا فوضى لا والى بها فكر النهب وامتدت ايدى اللصوص الى المال والحريم ، وسيدى محمد العياشى ساكت لا يتكلم وكثرت الشكايات من التجار والمسافرين بمخافة السبل وقطع الطرقات ، فاهرع الناس الى ابى عبد الله المذكور من كل جانب، وكثرت وفوده ، واشرفت فى الجوى السلاوى انواره ، فشمس عن ساعد الجد واطهر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولما طالبه الناس بالتقدم عليهم والنظر فى مصالح المسلمين وامور جهادهم مع عدوهم امر أشياخ القبائل واعيانها من عرب وبربر ورؤساء الامصار ان يضعوا خطوطهم فى ظهير بانهم رضوه وقدموه على انفسهم والتزموا طاعته ، وان اى قبيلة خرجت عن امره كانوا معه يدا واحدة على مقاتلتها حتى تفىء الى امر الله ، فاعطوا بذلك خطوطهم فى ظهير ، وانهم رضوه وقدموه على انفسهم ، ووافق على ذلك قضاة الوقت وفقهاؤه ممن تامسنا الى تازا

وكان الحامل له على طلب ذلك منهم انه بلغه عن بعض طلبية الوقت انه قال لا يحل الجهاد الا مع الامير ، ففعل ذلك خروجا من تلك الدعوى الواهية ، والا فقد كتب له علماء الوقت كالامام ابي محمد عبد الواحد بن عاشر ، والامام ابي اسحاق ابراهيم الكلالي بضم الكاف المعقودة ، والامام ابي عبد الله محمد العربي الفاسي وغيرهم بان مقاتلة العدو الكافر لا تتوقف على وجود السلطان وانما جماعة المسلمين تقوم مقامه* ، ولما كمل امره وبايعه الناس على اعلاء كلمة الله ورد الظلم عن ضعفاء الامة ضاق الامر على عرب الغرب لاعتيادهم الفساد وعدم الوازع ومحبتهم الخلاف والفتنة ، فنكت بيعة جماعة منهم

وكان ممن نكت الناصر بن الزبير في لمة من شراكة فقاتلهم ابو عبد الله حتى ظفر بهم ثم عفا عنهم ، ونكت ايضا الطاغى بالثناء بدل الطاء فسي لسانهم مع جموعه اولاد سجير فغلبهم وعفا عنهم ، وكذلك عرب الحياينة طغوا على اهل فاس وعانوا خلال تلك البلاد باغراء ولد السلطان زيدان ، فقاتلهم ابو عبد الله فكانت الدبرة عليهم ، وتاب على يده جماعة من رؤساء شراكة الذين كانوا مع الحياينة ، وكانت عاقبة كل من بنى عليه خسرا

وكان اهل سلا قد لقوا من نصارى المعمورة مضرة وشدة ، فلما اجتمعت الكلمة على ابي عبد الله العياشي ورد الله كيد من نكت في نحره كان اول ما بدأ به انه تهيأ للخروج الى حلق المعمورة ، واستعد لقتاله ومنازلة من فيه من النصارى طمعا في فتحه فيتقوى المسلمون بذخائره ، وكان المسلمون قد حاصروه قبل ذلك فلم يقدروا منه على شيء وصعب عليهم أمره ، وكان ابو عبد الله اذا اراد الله أن يظفره بغنيمة رأى في منامه انه يسوق خنازير أو نحوها ، ولما سار بجموعه الى الحلق ونزل عليه رأى قطعتين من الخنازير معها عنوز، فكان من قضاء الله وضعه انه في صيحة

(*) بل في مقدمات ابن رشد ما نصه : « ويجهاد العدو مع كل بر وفاجر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ه فكيف بهذا الولي الكبير رضى الله عنه . ه من املاء مؤلفه

تلك الليلة قدمت أغربة من سفن النصارى بقصد الدخول الى الحلق فضيق عليهم رماة المسلمين الذين بالخذق ، فارادوا ان ينحرفوا الى البحر فردهم البحر الى ساحل الرمل هنالك فتمكن المسلمون منهم وقتلوا وسبوا ووجدوا فى الاغربة زهاء ثلاثمائة أسير من المسلمين فأعتقهم الله ، وأسر يومئذ من النصارى أكثر من ثلاثمائة ، وقتل منهم أكثر من مائتين ، وظفر المسلمون بقبطان من عظمائهم ففدى به الرئيس طابق رئيس أهل الجزائر ، وكان عندهم محبوسا فى قفص من حديد .

واستقامت الامور لابي عبد الله العياشى بسلا وبنى داره داخل باب المعلقة منها ، وبنى برجين على ساحل مرسى العدوتين من ناحية سلا ، وهما المعروفان اليوم بالبساتين .

ثم كانت غزوة الحلق الكبرى وكان من خبرها أن جيش أهل فاس خرجوا بقصد الجهاد فنزلوا بموضع يعرف بعين السبع وكنوا فيه ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع خرج النصارى الى تلك الجهات على غرة فظفر بهم المسلمون ، وكان النصارى لما خرج جيش أهل فاس أعلمهم بذلك مسلم عندهم مرتد فأعطوه سلعا وجاء بها الى سلا بقصد بيعها والتجسس لهم على الخبر فأخذ وقتل ، وعميت عليهم الانباء اذ كانوا ينتظرون من يرد عليهم فيخبرهم ، ولما أبطأ عليهم خرجوا فلم يشعروا الا بالحيل قد أحاطت بهم وقتل منهم نحو الستمائة ، ولم ينج الا القليل حتى لم يبق فى الحلق تلك الليلة الا نحو اربعين رجلا منهم ، وغنم المسلمون منهم أربعمائة من العدة ، ولم يحضر أبو عبد الله العياشى فى هذه الواقعة لانه كان قد ذهب الى طنجة حقا على يوم المسامير ، لان النصارى خذلهم الله كانوا قد صنعوا نوعا من المسمار بثلاثة رؤوس تنزل على الارض والرابع يبقى مرفوعا ، وبثوا ذلك فى مجالات القتال مكيدة عظيمة تضرر منها الفرسان والرجال ، فلما رجع واعلم بضعف من بقى بالحلق بعث الى أهل الاندلس بسلا يصنعون له السلالم كى يصعد بها الى من بقى فى الحلق فيستأصلهم ، فتأفلوا عن صنعها غشا للاسلام ومناواة لابي عبد الله ، حتى جاء المدد لاهل

الحلق ، وكانت تلك الرابطة بين أهل الاندلس والنصارى متوارثة من لدن كانوا بارضهم ، فكانوا آنس بهم من أهل المغرب ، فلما أتى أبو عبد الله بالسلام لم تغن بعد شيئا ، ومن هنالك استحكمت البغضاء بينه وبين أهل الاندلس ، وكان أهل الاندلس قد أعلموا النصارى بان محلة أبي عبد الله النازلة لمحاصرة الحلق ليست لها اقامة فبلغ ذلك أبا عبد الله فأقام عليهم الحججة ، وشاور العلماء فى قتالهم فأتى أبو عبد الله العربى الفاسى وغيره بجواز مقاتلتهم ، لانهم حادوا الله ورسوله ووالوا الكفار ونصحوهم ، ولانهم تصرفوا فى مال المسلمين ومنعوه من الراتب ، وقطعوا البيع والشراء عن الناس ، وخصوا به أنفسهم وصادقوا النصارى وأمدوهم بالطعام والسلاح ، وكان سيدى عبد الواحد بن عاشر لم يجب عن هذه القضية حتى رأى بعينه حين قدم الى سلا بقصد المرابطة ، فرأى أهل الاندلس يحملون الطعام الى النصارى ، ويعلمونهم بعبورة المسلمين ، فأتى حينئذ بجواز مقاتلتهم فقاتلهم أبو عبد الله وحكم السيف فى رقابهم أياما الى أن أخدم بدعتهم ، وجمع الكلمة بهم .

ولما وقعت غزوة الحلق الكبرى قدمت الوفود على أبي عبد الله بقصد التهئة بما منحه الله من الظفر فحضر الناس على استئصال شافة من بقى بالحلقة من النصارى ، وعير العرب بترك الكفار فى بلادهم ، وكان ممن حضر من العرب جماعة من الحلف وبنى مالك والتاغى والدخيسى وغيرهم ، فقال لهم أبو عبد الله : « والله والله والله ان لم تاخذكم النصارى لتاخذنكم البربر » فقالوا : « ياسيدى كيف يكون هذا وأنت فينا ؟ » فقال لهم : « اسكنوا أتم الذين تقطعون رأسى ، فكان كذلك ، وهذا من كراماته رضى الله عنه ، ثم صرف عزمه الى التضييق على نصارى العرائش وشن الغارات عليهم ، فقدم فى جمع من المسلمين وكمن بالغابة نحو من سبعة أيام فخرجوا على حين غفلة فمكن الله من رقابهم ، وكان فى مدة كموته بالغابة أخذ حناشا من عرب طليق يقال له ابن عبود ، والحناش فى لسان عامة أهل المغرب هو الجاسوس ، فأراد أبو عبد الله قتله ، فقال له : « استبقتى وأنا تائب الى

الله وانا أنفع للمسلمين ان شاء الله « فتركه فذهب الى النصارى وكان موثوقا به عندهم حتى كانوا يؤدون اليه الراتب ، فقال لهم : « ان أحياء العرب وحالها قد نزلوا بوادى العرائش فلو اغرتم عليهم لغنتموهم » فخرجوا فمكن الله منهم وطحنهم المسلمون فى ساعة واحدة طحن الحصيد ، ولم ينج منهم الا الشريد ، وكان ابن عبود قد بقى بايديهم فأخذوه ومثلوا به ونزعوا اسنانه وارادوا قتله لولا انه رفعهم الى شرعهم ، وكان عدد من قتل من النصارى نحو الف وكانت هذه الواقعة سنة أربعين والف



بقية اخبار السلطان عبد الملك بن زيدان ووفاته

قال اليفرنى : كان عبد الملك بن زيدان قائد السيرة مطموس البصرة وبلغ من قلة دياتته انه تزايد له مولود فاطهر انه اراد ان يحتفل لسابعه فبعث الى نساء أعيان مراكش ونساء خدامه ان يحضرن ، وصعد هو الى منارة فى داره فنظر الى النساء وهن منتشرات قد وضعن ثيابهن فأيتهن أعجبهت بعث اليها وكان مدمنا على شرب الخمر الى ان قتله العلوج بمراكش وهو سكران يوم الاحد سادس عشر شعبان سنة اربعين والف ، ودفن الى جنب قبر ابيه وبسط منويل خبر مقتله فقال : « لما نار الوليد على اخيه عبد الملك وعادت الكرة عليه بقى منتقلا فى البلاد ثم رغب الى اخيه حتى رده الى مراكش ، فاخذ الوليد يستميل رؤساء الدولة ووجوهها وتجارها ويعدهم بالاحسان حتى وافقوه على الفتك باخيه فترصدوه حتى غفل البوابون ودخلوا عليه قبة وهو متكى على طنفسة فرموه برصاصة وتناولوه بالخنجر المسماة عند المغاربة بالكميات ، وقامت الهيئة بالمشور والقصة فخاف الوليد على نفسه من بعض قواد الجند فاخرج جنازة اخيه الى المشور حتى شاهده الناس ميتا فسكنوا وانقطع املهم وباعوه ، انتهى قال اليفرنى : ومما رأيت من قوشا على رخامة قبره هذان البيتان :

لا تقنطن فان الله منان وعنده للورى عفو وغفران
 ان كان عندك اهمال ومعصية فعند ربك افضال واحسان
 ومن وزرائه : محمد بانا العليج ويحيى آجانا الوريكى وجؤذر
 وغيرهم . وقاضيه : الفقيه ابو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني قاضى
 مراكش . ومفتيه : ابو العباس احمد السملالى رحم الله الجميع



الخبر عن دولة السلطان أبى يزيد الوليد بن زيدان رحمه الله



لما قتل السلطان عبد الملك بن زيدان فى التاريخ المتقدم ببيع أخوه
 الوليد بن زيدان فلم يزل مقتصرا على ما كان لآخيه وابيه من قبله لم
 يجاوز سلطانه مراكش واعمالها ، وعظمت الفتن بفاس حتى عطلت الجمعة
 والتراويح من جامع القرويين مدة ، ولم يصل به ليلة القدر الا رجل واحد
 من شدة الهول والحروب التى كانت بين أهل المدينة
 واقتسم المغرب فى أيام اولاد زيدان طوائف فكان حاله كحال
 الاندلس أيام طوائفها كما ذكرنا ونذكر بعد ان شاء الله



ظهور أبى حسون السملالى المعروف بابى دميعة بالسوس

ثم استيلاؤه على درعة وسجلماسة واعمالها



هذا الرجل هو ابو الحسن ، ويقال : ابو حسون على بن محمد بن
 محمد بن الولي الصالح ابي العباس أحمد بن موسى السملالى ، وكان بدء
 امره انه لما ضعف امر السلطان زيدان بالصقع السوسى وفشل ريحه فيه نبغ
 هو فدعا لنفسه وجر نار الرياسة الى قرصه ، وتألبت عليه البرابرة من بسائط
 جزولة وجبالها ، والتفت عليه غالب القبائل السوسية فاستولى على تارودانت
 واعمالها الى ان اخرجها عنها الفقيه ابو زكرياء بن عبد المنعم بعد حروب

وفتن عظيمة حسبما مرت الاشارة اليه *

ولما توفي ابو زكرياء فى التاريخ المتقدم صفا لابي حسون قطر السوس ونفذ فيه امره وسمعت كلمته ، ثم بعد مهلك زيدان مد يده الى درعة فاستولى عليها ، ثم استولى على سجلماسة ونواحيها فاستحكم امره وتقوى عضده ولم يزل امره نافذا فى سجلماسة الى ان نار عليه الاسد الهصور المولى لمحمد بن الشريف فاخرجه من سجلماسة بعد حروب يشيب لها الوليد ، ثم أخرجته من درعة ايضا على ما نذكره بعد ، وقد وقفت على سؤال رفع من جانب ابي حسون الى القاضى ابي مهدي السكتانى فى شأن مدينة ايلينج دار رياسته ومقر عزه يستفيه فى احداث كنيسة اليهود بها هل يجوز أم لا وفيه مع ذلك بعض الكشف عن حال هذه المدينة فلنذكره ونصه :

«الحمد لله الذى ارتضى للاسلام ديناً ، وانزل به على خيرة خلقه كتاباً مبيناً ، الفقيه الاجل العلامة الاحفل القاضى الاعدل ، خاتمة المحققين ومعمد الموثقين ، ابا مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتانى وفقه الله لما يرضيه ، واعانه على ما هو متولىه ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، فقد تقرر عند سيدنا امر هذه الحضرة العلية العلوية ايلينج ادم الله بهجتها ، كما رفع كثيرها من الحواضر درجتها ، وانها محدثة فتوفرت ببركة بانيتها عمارتها ومبانيها ، فاتخذها مسكناً اهل السهول والحزون ، وجمعت لطيب تربتها بين الضب والنون ، فنزلها برسم الاستيطان اوئاب من

* قال التمازتى فى الفوائد : وفى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين والى الف حاصر بغالة العرب والبربر مدينة السوس الاقصى تارودانت وهى اذ ذاك تحت إمارة الامير ابي الحسن الجزولى فاستباحوها إلا قصبته وحاصروها خمسة وعشرين يوماً وحفروا اسراباً تحت سورها فوجدوا قاعدة اساسها لا تنال الفؤوس منه شيئاً لو نأقته ففقطوا وبلغ خبرهم الامير المذكور فطوى اليهم المراحل من الصحراء ولما قارب بلاد السوس اقلعوا وهربوا عنها فورد فى جيش عظيم من جزولة فاقام بها حتى اصلحها وشحنها بالعدد والجيوش ولم يتمكن من البغالة لتفرقهم فى الجبال اهل الغرض منه ويظهر ان القطر السوسى صفا بعد هذا التاريخ لابي حسون واستتب فيه امره

أهل الذمة ، باذن مختطها الامام العالى الهمة ، فاختطوا بها عن اذنه منازلهم
 وبنوا بفنائها كنيستهم وصيروها متعبدهم ، فانفق ، والحديث شجون ، ان
 جرى ببعض اندية علمائها ، ومحضر جمع من نبهاء البلدة وفقهائها ، كلام
 أفضى بهم الى ذكر الكنيسة المذكورة ، والمجادلة فى محصل الحكم الشرعى
 فيها فى الدواوين المسطورة ، فافتى بعضهم بوجوب هدمها لانها محدثة
 ببلاد الاسلام ، ولما فى تركها من المفسد العظام ، وانها لا تترك لهم متعبدا
 وجزم الكلام ، وقال : هذا محصل ما ذكره فى مثل هذه القضية الاعلام ،
 وأفتى فريق بجواز ابقائها ، وانه لا ينبغى تفويض بنائها ، ولا التعرض لهم
 فى احداثها ، اذ على مثل هذا من دينهم الفاسد افروا واعطوا الذمة فاعطوا
 الجزية صاغرين ولم يرد منع اجتماع دينين الا فى جزيرة العرب ، وكم من
 بلد اسلامى محدث مشحون بالعلماء احدثت فيه ولم يقولوا بمنعه وتواطؤهم
 على تركها كالتص والدليل على جواز احداثها وابقائها بعده ، واستمر
 الاحتجاج ، وكرر اللجاج ، ولم يقنع كل فريق بما ابداه الآخر من
 الاحتجاج ، فعملت لذلك الى ان تفرقوا فيها بعلمكم النافع بين العذب والاجاج
 بفتوى تبين صحيح الاقوال من سقيمها ، وتفصل بين ليلى وغريمها ، ولولا
 محل النازلة من الدين ما رفعت اليكم ، فلذلك وجب الجواب عنها عليكم ،
 مع مسألة اخرى وهى : انهم طلبوا ان تترك لهم بقعة يوارون فيها جيف
 موتاهم لان مسافة ما بينهم وبين افران التى هى مقبرة قديمة لهم بعيدة هل
 يساغفون ام لا ، والله ببيئكم ومجدكم محروس ، وظل من استرلكم
 مكسوس . والسلام عليكم ،

الجواب :

« الحمد لله وعلى فقهاء بلادنا السوية حرسها الله واكرمهم باتباع
 سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ،
 فقد وقف كاتبه عفا الله عنه على نازلة أهل الذمة النازلين بايلغ مختط
 اولاد السيد البركة قطب بلادنا سيدى احمد بن موسى نفعنا الله ببركاته
 وبارك فى ذريته وسددهم لما فيه رضاء آمين ، ولما وقفت عليها وتأملتتها

رأيت ان الصواب فيها الفتوى بمنع احداث أهل الذمة الكنائس فيها وبهدم ما بنى فيها بعد احداثه لان ايلغ من بلاد الاسلام ، ولا فيه شبهة لأهل الذمة الطارين عليه لا باعتبار الفتح العنوي ولا باعتبار الصلح على الخلاف في المغرب باعتبار فتحه ، وحاصل امرها خفاء الحال فيها واذا كان الامر هكذا فالحكم انها ملك لمدعيها الحائز لها ، والاراضى اقسام : أرض اسلام لا يجوز لمحدث الكنائس بها باتفاق ، ثم ان وقع شيء من ذلك هدم ، وارض ايلغ من هذا القسم فان ملكوا الارض التي بنوا فيها الكنيسة بوجه من وجوه التملك كالعطية وجب هدمها ونقضها ، ويكون لهم ما يسوغ من المنافع ، وان كان بناء الكنيسة شرطا ردت العطية وفسخ البيع ان كان به لانه في معنى التحسيس على الكنيسة ، والحاصل ان وجه دخول اليهود ايلغ معلوم ، وان بلده ملك للإسلام ، فبناء اليهود فيها الكنائس معصية ، وتمكينهم منه اعانة عليها وهذا لا يخفى ، واما الجواز والافتاء به في النازلة فمعزل عن الصواب والاستدلال على الجواز بحواضر المغرب وسكوت علمائها ومواقفة امرائها لا يتم ، لان اصل تمكينهم من الكنائس مجهول ، اذ يحتمل امورا منها : انه يحتمل ان يكون بعهد كان لهم في غير تلك البلاد من اقرارهم على بلد يسكنونه مع بقائهم على معتاداتهم ، ثم نقلوا لمصلحة اقتضت ذلك ، او ارجح ، ولان البلاد تقدم فيها اليهود وغيرهم من أهل الصلح ، والحاصل أن وجه دخولهم مجهول في هذه البلاد بخلاف ايلغ ، ونازلة ايلغ معلومة للدخول فيهنما بون قياسي احدهما على الاخرى لا يصح وبالله التوفيق
 وكتب عيسى بن عبد الرحمن وفقه الله آمين
 ولما علم المرابط بالحكم أمر بهدمها ومنع اليهود مما أرادوه



بقية أخبار السلطان الوليد بن زيدان ووفاته رحمه الله



قال في شرح الزهرة : كان الوليد بن زيدان متظاهرا بالديانة ، لين الجانب حتى رضيته الخاصة والعامة ، وكان مولعا بالسماح لا ينفك عنه ليلا ولا نهارا ، الا أنه كان يقتل الاشراف من اخوته وبنى عمه حتى أفنى أكثرهم ، وكان مع ذلك محبا في العلماء مائلا اليهم بكلية متواضعا لهم ، وله ألف القائد ابو الحسن على بن الطيب منظومته المشهورة في الفواكه الصيفية والحريفية ، وألف القاضي أبو مهدي السكتاني شرح صغرى الصغرى للسوسى برسمه ، والقصة المعروفة بالوليدية على ساحل البحر المحيط فيما بين آسفى وتيط هي منسوبة اليه واظنها من بنائه* والله أعلم

وأما وفاته فسيبها ان جنده من العلوج طالبوه بمرتبهم وأعطيتهم على العادة وقالوا له : « أعطنا ما نأكل » فقال لهم على طريق التهكم : « كلوا قشر النارج بالمسرة » فغضبوا لذلك وكمن له أربعة منهم فقتلوه غدرا يوم الخميس الرابع عشر من رمضان المعظم سنة خمس وأربعين وألف .

وقال منويل : لما ولي الوليد قتل أخاه اسماعيل واثنين من أولاد أخيه عبد الملك وسبعة من بنى عمه ، ولم يترك الا أخاه الشيخ بن زيدان استغفارا له اذ كان سنة يومئذ احدى عشرة سنة ، وكانت أمه تخاف عليه من الوليد فكانت تحرسه منه حراسة شديدة ، والقي الله محبته في قلب سائر نساء القصر لما رأين من هلاك الاعياص وعرضة الملك للزوال ، وكن حازمات يقمن مقام الرجال حتى ان بعضهن كانت لها طبنجات في حزامها دائما تحرس الشيخ من أخيه الوليد .

ثم ان رؤساء الدولة سثموا ملكته فاتفقوا مع نساء القصر على قتله ، وكان الوليد عازما على قتل أخيه الشيخ أيضا ، فاحتمل بأن صنع ذات

[*] قد جزم المؤرخ الفرنسوى دو كاسترى بأنها من بنائه وان بناها كان في

سنة ١٦٣٤ مسيحية وأن الوليد استعمل في تشييدها عددا من أسرى النصارى هـ

ليلة ضياع عظيما وطعاما كثيرا دعا اليه وجوه الدولة وأعيان مراکش، وكان أخوه الشيخ عنده في الدار لا يتركه يخرج بحال ، وعزم انه اذا اشتغل نساء القصر بأمر الطعام ونحوه خالف اليه وقتله ، فكان من قدر الله أن العلوج قد عزموا في تلك الليلة على اغتيال الوليد فكمنوا له في الحجرة التي كان الشيخ محبوسا فيها ، ثم لما جاء الوقت واجتمع الناس في القبلة التي اعدوا لهم الوليد قام ودخل الى الحجرة التي فيها الشيخ للفتك به فوجد الاعلاج كامنين له هناك ، فلما رأهم فزع ، وقال : « مالكم؟ » فرموه بالرصاص ثم تناولوه بالخنجر حتى فاظ انتهى *

الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله



لما قتل السلطان الوليد في التاريخ المتقدم اختلف الناس فيمن يقدمونه للولاية عليهم ثم اجمع رأيهم على مبايعة أخيه محمد الشيخ والقاء القيادة اليه فاخرجوه من السجن ، وكان أخوه الوليد قد سجنه اذ كان يتخوف منه الخروج عليه ، فبويع بمراكش يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة خمس وأربعين وألف . ولما بويع سار في الناس سيرة حميدة وألان الجانب للكافة ، وكان متواضعا في نفسه صفوحا عن الهفوات متوقفا عن سفك الدماء مائلا الى الراحة والدعة متظاهرا بالخير ومحبة الصالحين ، وهو الذي بنا على قبر الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي بزوايته قبة حافلة البناء رائقة الصنعة ، الا أنه كان منكوس الراية مهزوم الجيش ، وبسبب ذلك لم يصف له مما كان بيد أبيه واخوته الا مراكش وبعض أعمالها

[*] راجع خبر هدية الوليد للحرم الشريف سنة ١٠٤٢ في تاريخ مراكش ج ٤ ص

وقد نار عليه رجل من هشتوكه خارج باب الخميس من مراکش
 بوقاسى فى محاربتة تعباً شديدا ولم يزل يناوشه القتال الى أن كانت له عليه
 الكرة ففرق جمعه ، ثم خرجت عليه أيضا قبيلة الشياظمة فقصدهم ، وكانت
 الملاقاة بينه وبينهم عند جبل الحديد ، فانهزم هزيمة شعاء . ثم حدث بينه
 وبين أهل زاوية الدلائى ما نذكره بعدان شاء الله .

ومما ذكره منويل من أخباره : « انه كان محسنا لسائر رعيته وكان
 حاله على الضد من جور أخيه الوليد وعسفه » ، قال : « وسرح الفرائيلية
 الذين كانوا فى سجن مراکش وأعطاهم الكنيسة التى بالسجينة منها وخالفت
 عليه سلا وأعمالها » انتهى

بقية أخبار ابى عبد الله العياشى بسلا والثغور وما يتبع ذلك



كان أمر ابى عبد الله العياشى بسلا وسائر بلاد المغرب على ما وصفناه
 قبل من جهاد العدو والتضييق عليه والمصارعة له والابلاغ فى نكايته فانتعش
 به الاسلام وازدهت الايام ، ودخلت فى طاعته القبائل والامصار من تامسنا
 الى تازا كما قلنا ، لاسيما فاس وأعلامها فانهم قد شايعوه وتابعوه على ما كان
 يصدده من الجهاد والرباط ، وحصل لهم بصحبته وولايته أتم اغتباط ، ولم
 يزل فى نحر العدو الى أن امن سرب المسلمين وحق القول على الكافرين .



وفادة اعلام فاس و اشرافها على ابي عبد الله العياشى بسلا



هذه الوفادة قد ذكرها الامام العلامة ابو عبد الله محمد بن أحمد
 ميارة الفاسى فى فاتحة شرحه الصغير على « المرشد المعين » .
 قال فى « نشر المثنى » : « وسببها ما وقع من الحرب بين اهل فاس
 وبين الحيانة و شرافة على قنطرة وادى سبو ، وقتل فيها من اهل فاس
 خمسة واربعون رجلا ، فخرج شرفاء فاس و قفهاؤها الى سلا مستغيثين
 بأبى عبد الله العياشى » قال : وكان الذى اغرى الحيانة بفاس هو أحمد
 ابن زيدان التفوا عليه وقاموا بدعوته ووصلوا أيديهم بشرافة و فعلوا بفاس
 واهلها الافاعيل حتى احتفظوا فى بعض الايام نساءهم من الجنات و باعوهن
 فى القبائل و فعلوا بهن ما لا يجوز » قال الشيخ ميارة : « قد من على ذو
 العظمة و الجلال ، الكريم المتفضل المتعال ، بزيارة الولي الصالح ، العالم
 العامل السائح ، قطب الزمان و كهف الامان ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ،
 المرابط فى الثغور مدة عمره لحياطة المسلمين ، ذى الكرامات الشهيرة
 العديدة ، و الفتوحات العظيمة الحميدة ، من لا شبيه له فى عصره و ما قرب
 منه و لا نظير ، و لا معين له على نصرة الاسلام و لا نصير الا الله الذى تفضل
 به علينا ، و اقره بمنه و جوده بين اظهرنا فهو كما قيل :

حلف لزمان ليأتين بمثله حثت يمينك يا زمان فكفر
 البركة القدوة ، المجاب الدعوة ، أبى عبد الله سيدى محمد بن أحمد
 العياشى أبقى الله بركه ، و عظم حرمة و بلغه من خير الدارين امنيته ،
 برأطال للمسلمين عمره و قواه ، و جعل الجنة نزله و مأواه ، مع جماعة من
 أعيان السادة ، من الشرفاء و الفقهاء القادة ، و ذلك أواسط ذى الحجة الحرام
 تم سبعة و أربعين و ألف عام ، و هو رزقنا الله رضاه بغير سلا ، أمنها الله
 من كل مكروه و بلا ، فاجتمعت اذ ذاك بنجله السعيد الموفق الرشيد ،
 العالم الهمام ، حجة الله فى الاسلام ، ذى العقل الراجح ، و الهدى الواضح ،

«عهد من الآباء توارثتها الأبناء» المتواضع الخاشع ، صاحب القلم البارع ، سيدى وسندى أبى محمد عبد الله سلمه الله من كل مكروه ووقاه ، فحضى حفظه الله على اختصار الشرح المذكور ، يعنى : شرحه الكبير على المرشد المعين «بعد أن طالع جله وسر به كل السرور ، وحث على فى تقديم ذلك على جميع الامور ، فلما قفلت من وجهتى شرعت فى ذلك تاركا للتسويق ، طالبا من المولى سبحانه السلامة من الخطا والتحريف . انتهى المقصود منه قال فى « نشر المثنى » : « ان أبا عبد الله العياشى قدم فاسا ونظير فى أمرها وغزا عرب الحياينة مرارا واثخن فيهم حتى خضعوا للطاعة »

ايقاع ابى عبد الله العياشى بنصارى الجديدة

سبب هذه الغزوة كما ذكره الفقيه العلامة قاضى تامسنا ابو زيد عبد الرحمن بن أحمد الغنامى الشاوى المعروف بسيدى رحو الغنامى أن نصارى الجديدة عقدوا المهادنة مع أهل آزمو مده ، فكان من عزة النصارى وذلة المسلمين فى تلك المدة ما تنفطر منه الاكباد وتخر له الاطواد ، فمن ذلك : أن زوجة قبطانهم خرجت ذات يوم فى محقتها ومعها صواجاتها الى أن وصلت حلة العرب فلقاها أهل الحلة بالزغاريت والفرح ، وضعوا لها من الاطعمة وحملوا لها من هدايا الدجاج والحليب والبيض شيئا كثيرا فظلت عندهم فى فرح عظيم ، ولما كان الليل رجعت ، ووقع لها أيضا : أنها أمرت القبطان زوجها أن يخرج بجيشه ويبعث الى قائد آزمو أن يخرج بجيش المسلمين فيلبعوا فيما بينهم وهى تنظر اليهم بقصد الفرجة والنزهة فكان كذلك ، فجعلوا يلعبون وهى تفرج فيهم فما كان بأسرع من أن حمل نصرانى على مسلم فقتله ، فكلم قائد المسلمين القبطان وأخبره بما وقع ، فقال له القبطان : « فما يضركم ان مات شهيدا » يهزأ بالمسلمين ويسخر منهم ، قال : « وكان الولي الصالح العابد ، الناسك

الزاهد المجاهد ، رافع لواء الاسلام ، ومحبي منهاج النبي عليه الصلاة والسلام ، سيدى محمد العياشى كلما سمع شيئا من ذلك تغير وبات لا يلتذ بطعام ولا منام ، وهو يفكر كيف تكون الحيلة فى زوال المعرة عن المسلمين بتلك الجهة وغسل اعراضهم من وسخ الاهانة ، وهو مع ذلك يخاف من العيون الذين يرصدونه من صاحب مراکش وقائد آزمور . ومن قبطان الجديدة ، اذ كان ما خلف وادى ام الربيع الى مراکش باقيا فى دعوة السلطان لم يدخل فى دعوة أبى عبد الله المذكور ، فمكث كذلك ثلاث سنين ، ولما رأى أن الامر لا يزيد الا شدة أوعز الى بعض اولاد ذؤيب من اولاد أبى عزيز أن يجلبوا الى النصارى شيئا من القمح خفية وأن يكون ذلك شيئا فشيئا حتى تطمئن نفوسهم ويذوقوا حلواته ويوهمهم النصح والمحبة ، فلما حصل ذلك جاءه جماعة منهم واخبروه الخبر واطلعوه على غرة النصارى خذلهم الله ، فعزم على قصد الجديدة نم بدا له فى تقديم غزو العرائش ، ثم ياتى الجديدة بغتة ، ففعل رحمه الله ، وكان ذلك اوائل صفر سنة تسع واربعين والى

ثم عزم على قصد الجديدة فذكروا له أن وادى أم الربيع فى نهاية المد والامتلاء فلم ينته عن ذلك وسار حتى بلغ الوادى المذكور على مشرع ابي الاعوان فوجده ممثلا جدا لا يكاد يدخله أحد الا غرق ، فقال لاصحابه وسائر من معه : « توكلوا على الله واجتهدوا فى الدعاء » ثم اقتحم الوادى بفرسه وتبعه الناس ، فعبروا جميعا ولم يتأذى منهم أحد ، وكان الماء يصل الى قريب من ركب خيلهم ، مع أن مد ذلك الوادى حين امتلائه لا يدرك له قعر عند الناس كما هو شهير ، وهذه كرامة عظيمة وقعت له رضى الله عنه ، وكان القاضى أبو زيد الغنامى حاضرا لها وشاهدها ، ولم يقع مثل هذا فيما علمناه الا للصحابة رضى الله عنهم ، مثل ما وقع لسعد بن أبى وقاص فى عبوره دجلة لفتح المدائن ، ومثل ما وقع للعلاء بن الحضرمى فى فتح بعض بلاد فارس ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولما وصل ابو عبد الله الى الجديدة وجد طائفة من اولاد أبى عزيز

قد نذروا به ولجأوا الى القبطان خوفا منه أن يوقع بهم لاجل مهادنتهم للكفار واتصالهم بهم فخرج القبطان في خيله ، وكان سيدي محمد كامن بازاء الجديدة بالغابة التي كانت هناك وقد زالت اليوم ، فلما انفصل القبطان بجيشه عن الجديدة حمل عليهم ابو عبد الله قفطعهم عنها ، ففروا الى جهة البحر فوقع بهم فهلكوا ولم ينج منهم الا سبعة وعشرون رجلا ، فتغير صاحب مراكش من ذلك وانكر ما صنع ابو عبد الله وكذا أنكره قاضييه الفقيه أبو مهدي السكاني .

وقد ذكر لويز مارية خبر هذه الواقعة فقال : « ان طائفة من المسلمين أقدموا على قائد البرتغال بالجديدة وقالوا له : «انا قد جئناك من عند المولى محمد بن الشريف يطلب منك أن تعينه بجماعة من عسكري على بعض عدوه ، فاسعفهم بذلك ، وكان شابا غرا لم يجرب الامور ، فهاه بعض كبار عسكريه وحذره عاقبة القدر ، فأبى وعزم على الخروج مع اولئك المسلمين . وتقاعد عنه عسكريه ، فقال لهم : « اني أخرج وحدي ، وذهب ليخرج وحده فتبعوه حينئذ ، وكانوا مائة وأربعين فارسا ، فلما انفصلوا عن الجديدة بمسافة وجدوا خيلا كثيرة كامنة لهم ، فلم يشعروا حتى احاطت بهم نصف دائرة منهم فما كلموهم حتى كملت الدائرة عليهم وصاروا مركزها ، فحينئذ التفت قائد العسكري الى ذلك الرجل الذي نهاه عن الخروج وقال له : « ما الحيلة ؟ » فاجابه بان الحيلة : « القتال حتى نموت » ثم أنشد له شعرا مضمينه : اني أشرت عليك ، وأنت أعظم جاهامني ، فلم تسمع ، والآن تقتل معا وتخلط دماؤنا حتى لا يتميزان ولا يعرف دم الشريف من الوضع . والحاصل ان المسلمين اوقعوا بهم حتى لم يرجع منهم الى الجديدة الا ثلاثة ، وأسر منهم خمسة عشر أحياء ، والباقي أتى عليه القتل ، وقامت بالجديدة مناحة عظيمة لم يتقدم مثلها ، وسجن الاسارى بسلا سنين في بعض دهاليزها حتى اقتداهم سلطانهم خوان الذي جمع مملكتهم من يد الاصنيول ، انتهى .

ولما قدم سيدي محمد العياشي من هذه الغزوة سار الى فاس للنظر

في امرها لما هاج من الحرب بين أهلها ، وذلك أن رجلا منهم يقال له ابن الزين عدا على رجل آخر يقال له : احمد عميرة فرماه برصاصة من عليه مسجد فوق سوقة ابن صافى فقتله ، وهاجت الحرب بفاس بين أهل عدوة الاندلس ، وكان المقتول رئيسهم ، وبين اللطيين ، فقدم سيدي محمد العياشى فاسا في آخر جمادى سنة خمسين وألف فأصلح بينهم ، وأفاد من قاتل عميرة كبير الاندلسيين . وبالجملة فغزوات سيدي محمد العياشى رحمه الله كثيرة ، وذبته عن الاسلام وحمايته للدين مما هو شهير عند الخاص والعام .

وفي هذه الغزوة يقول الكاتب الاديب أبو عبد الله محمد بن أحمد النكلائي مادحا لسيدي محمد العياشى ومشيرا الى الكرامة التي وقعت له في عبور النهر :

حديث العلاء عنكم يسير به الركب وينقله في صحفه الشرق والغرب
 وجبكم فرض على كل مسلم تال به الزلفى من الله والقرب
 فانت رفيع من أصول رفيعة نجوم الدياجى في الانام لها سرب
 سمى رسول الله ناصر دينه تجلى بكم عن أققه الشك والريب
 ولم أر بحرا جاوز البحر قبلكم تجود لمستجد أنامله السحب
 وما يستوى البهران عندي فان ذا أجاج لعمرى في المذاق وذا عذب
 وكان رحمه الله عازما على أخذ العرائش فحال بينه وبينها انصرام
 الاجل وكذلك كان ملحا على أخذ طنجة فلم تساعده الاقدار



مقتل ابي عبد الله العياشى رحمه الله والسبب فيه



قدمنا أن أهل الاندلس بسلا تحزبوا على ابي عبد الله العياشى ورموه عن قوس واحدة وانه كان قد اطلع على خبثهم ونصحهم للكفر واهله ، ولانه استفتى العلماء فيهم فافتوه باباحة قتال من هذه صفة ، فاطلق فيهم السبيل أياما فقتل من وجد منهم وهرب أكثرهم فهربت طائفة منهم الى مراكش وهربت طائفة الى الجزائر واخرى الى النصارى وفرقة الى زاوية الدلاء ، فجاء أهل الدلاء يشفعون في أهل الاندلس فابى ابو عبد الله ان يقبل فيهم الشفاعة وقال : « ان رأى فى استئصال شأقتهم » فلما رأى أهل الدلاء امتناعه ورد شفاعتهم غضبوا لذلك واجمعوا على حربه ، ومن قبل ما كانت للقوارص تسرى منهم اليه يدل على ذلك الرسالة التى كتب بها الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الدلائى الى ابي عبد الله العياشى ونصها : « الحمد لله الحليم العفو الرؤوف ، المنزه عن صفات من وصف بها مؤف ، وصلى الله على سيدنا محمد مدينة العلم ، المسورة بسور السماحة والحلم ، وعلى ساداتنا آله وصحبه ، وكل من انتظم فى سلك اتباعهم من أهل حزبه ، هذا ، وان المجلى بنور طلعه ظلم الظلم والفساد ، المحلى خزائن المعالى بموجبات النفاق على حين الكساد المستوطن حبه بسويداء الفؤاد ، من اقت اليه المكارم أزمة الانقياد وصلحت به بحمد الله العباد والبلاد ، حوطة الاسلام وحمايته ، وخديم الدين المحمدى وكفايته ، سيدى محمد بن أحمد العياشى المحمود الاوصاف ، بشهادة من يعد من أهل الانصاف ، زاده الله من المكارم أعلاها ، ومن نفائس درر المجد اغلاها ، وتوجه بتاج الكرامة والرضى ، وامده بدائم مدده السرمدى حتى يرضى ، وسلم جنابه القدسى العلمى العملى المرابطى المجاهدى من جميع البلايا ، واتحفه من تحفه الفاضلة للوهية باعلى المزايا ، واهدى اليه من طيب بركاته ورحماته ، ما يرضاه بدينه العلمى لحماته ، قد شهدنا على انفسنا بالاقرار بفضله علينا ، وان ما

يسره يسرنا وما يضره يضرنا ، علم ذلك منا يقينا من له معنا ادنى مخالطة بحيث لا يمكنه ان يدفع ذلك بنوع من المغالطة ، وان الضار بالعين ضار بانسانها ، لكن النفوس الانسانية محل لخطاها ونسيانها ، ومن أقمناه لديكم مقام الخادم والولد ، قد ساءنا منه ما ساءكم مما عنه ورد ، وطلبنا من جميل اوصافكم معاملته بالصفح والجميل ، فلن يزال الانسان الا من عصمه الله يستمال او يميل ، ولولا الحرارة ما عرف الظل ، ولولا الوابل لقليل النهاية في الظل ، وما عرف العفو لولا الاساءة ، ولا يقال صبر المرء الا فيما ساءه ، وما عرفنا صاحبه الا مجبا لجانب كل من للدين يتسبب ، فان خرج عن نظركم فقد اتاه الغلط من لا يحتسب ، انتهى

وكان الشيخ ابن ابي بكر رحمه الله يطيل الثناء على ابي عبد الله العياشي ويذيع محاسنه وكان يقول في دعائه : اللهم اجزنا سيدي محمد العياشي افضل المجازاة وكافه احسن المكافاة واجعل مكافأتك له كشف الحجب عن قلبه حتى تكون اقرب اليه منه ، اللهم لا تحرمه توجهه اليك وانقطاعه لخدمتك . اللهم نفس كربته وكمل رغبته ، واجب دعوته ، وسدد رميته ، واردد له الكرة على من عداه في الحق انك على كل شيء قدير ، انتهى

فهذا حال الشيخ ابن ابي بكر رحمه الله مع ابي عبد الله العياشي ثم قدر الله ان حدث بين اولاده وبين العياشي من النفرة ما افضى الى المقاتلة وذلك بسبب رده شفاعتهم في أهل الاندلس وامور آخر فاجتمعوا على حربه كما قلنا ، فخرج اليهم ابو عبد الله العياشي فأوقع بهم وهزم جموعهم ، وفك بالعرب الذين كانوا مع التاغى ففرقت الجموع ، وتبرأ التابع من المتبوع .

ثم ذهب ابو عبد الله العياشي الى طنجة بقصد الجهاد فلما قفل من غزوه وجد البربر من اهل الدلاء قد وصلوا الى اطراف أزغار ، ومعهم التاغى ولادخيسى واهل حزبهم من الكدادرة وغيرهم ، وعزموا على مصادمة ابي عبد الله فاراد ان يفض الطرف عنهم ويصرف عنانه عن جبهتهم فلم يزل

أصحابه به الى أن برز لمقاتلتهم فلما التقى الجمعان كانت الدبرة على أبي عبد الله العياشي وقتل فرسه تحته ، فرجع الى بلاد الخلط ، وكان رؤساء الخلط أكثرهم في حزب التاغى وعلى رأى الكدادرة ، فرجعت البربر الى اوطانهم ، وبقي ابو عبد الله العياشي عند الخلط أياما ، ثم غدروا به فقتلوه بموضع يسمى عين القصب واحتزوا رأسه ، وحمله بعضهم الى سلا ، وكأنه حمله الى اهل الاندلس اذ هم اعداؤه بها قال فى « شرح المثنى » : ودفنت جثته بازاء روضة أبي الشتاء رضى الله عنه

ومن كراماته المتواترة انهم لما حملوا الرأس سمعوه ليلا وهو يقرأ القرآن جهارا حتى علمه جميع من حضر فردوه الى مكانه وتاب بسببه جماعة من الناس ، واما القبة المنسوبة اليه بقبيلة اولاد ابي عزيز من بلاد دكالة فالظاهر انها متخذة على بعض معاهده التي كان يأوى اليها ايام كونه القبيلة المذكورة فى ابتداء أمره كما مر ، وليس هناك قبر له على الصحيح ولما قتل أبو عبد الله العياشي فرح النصارى بمقتله غاية الفرح واعطوا البشارة على ذلك وعملوا المفرحات ثلاثة أيام ، وكان مقتله رحمه الله تاسع عشر المحرم سنة احدى وخمسين والى وقد رمزوا لتاريخ وفاته بقولهم : « مات زرب الاسلام » باسقاط الف الوصل ، وحدث رجل أنه كان بالاسكندرية فرأى النصارى يومئذ يفرحون ويخرجون انفاضهم فسألهم فقالوا له : « قتل سانطو بالمغرب » وفى « الرحلة » لابي سالم العياشى قال : « اخبرنى الشيخ محمد الفزارى بمكة قال : كان بالمدينة المشرفة رجل مغربى من أهل القصر فى السنة التي قتل فيها الولي الصالح المجاهد سيدى محمد بن احمد العياشى قال : فجاءنى ذات يوم وقال لى : « انسى رأيت فى النوم اختى ورأيت رجلا جالسا مقطوع اليد تسيل دما » فقلت له : « من انت ؟ » قال : « الاسلام » قطعت يدي بسلا » قال : فلما اخبرنى قلت له : الذى يظهر لى من رؤياك ان الرجل الصالح المجاهد الذى كان يسلا قد قتل » قال : وبعد ذلك فى آخر السنة قدم حجاج المغرب فاخبرونا بموته »

وقد رثى رحمه الله بقصائد كثيرة منها قصيدة الاديب البليغ أبى العباس أحمد الدغوغى التى ذكرها فى النزهة ، ويحكى انه وجد مقيدا بخط أبى عبد الله العياشى المذكور ان جملة ما قتله من الكفار فى غزواته بسبعة آلاف وستمائة وسبعون ونيف ، ومما مدحه به العلامة الامام الشهير أبو محمد عبد الواحد بن عاشر قوله :

ياحادي الاطعان فى الرياشى	أبلغ سلامى فخرنا العياشى
من نوره بدا وفضله غدا	تحدو به الركبان والمواشى
طود الهدى عين الندى فردالورى	فريد وقته الامام الخاشى
لله سيف صارم وقاصم	ظهر العدا كبيرهم والناشى
يركهم عذ اللقا رهن الثقا	صرعى على الارض كما الكباشى
يامسلمين تهنيكم حياتكم	ما عاش فيكم سيدى العياشى
أنام لا شك الانام الكل فى	ظل الامان لين انقراش
ياعاذلى فى جبه عذلك دع	ولا تحدثنى حديث الواشى
انى امرء بالحسن مفتون وعن	جميع لوم لائسى عاشى
هديتى الى الكرام ابرزت	سلامها للسامعين فاشى
وثناء الناس عليه كثير فعد أئنى	عليه الشيخ ميارة كما مر ، وابو

عبد الله محمد العربى الفاسى ، وابن ابى بكر الدلائى وغيرهم وكان رحمه الله مجاب الدعوة ما دعا الله فى شىء الا استجيب له شوهد ذلك منه مرارا ومن ادعيته المحفوظة عنه : « اللهم انى أسألك باسمك السريع المجيب الذى خزنت فيه فواتح رحمتك وخواتم ارادتك وسرعة اجابتك ياسريع لمن قصده يا قريب ممن سأله يامجيب من دعاه أسرع لى بقضاء حاجتى وبلوغ ارادتى ياسميع يامجيب ياسريع يا قريب آمين آمين آمين يارب العالمين »

وكان فقيها مشاركا فى الفنون وله اتباع ظهرت عليهم بركاته ولاح عليهم سره ، ومن اتباعه : الشيخ ابو الوفاء اسماعيل بن سعيد الدكالى القاسمى صاحب الزلوية المشهورة ببلاد دكالة ومن اتباعه أيضا : المقدم

المجاهد ابو العباس الخضر غيلان الجرفطى وقد ذكر ذلك الشيخ ابو عبد الله محمد بن ناصر الدرعى فى رسالة كتب بها الى المجاهد المذكور يقول فيها ما نصه . « من عبيد الله تعالى محمد بن ناصر كان الله له الى الفارس القائم بنصر دين الله البائع نفسه فى اعلاء كلمة الله الخضر غيلان سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، اما بعد فانى احبك فى الله وان لسانى لهج بالتضرع الى الله تعالى فى نصرك على الكافرين منذ خرج النجلين والباعث على اعلامك بهذا امران احدهما : قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا احب احدكم اخاه فليعلمه » والثانى : استنهاض همتك للجد فيما انت بصدده من الجهاد وعدم الالتفات الى ما تورط فيه غيرك من الاغترار بالفانى ، فانت ما دمت فى هذا على طريقه ، سالحة ، وعباد الله الصالحون كلهم معك ، ورحم الله صاحبك الذى اسس لك هذه الطريقه السالحة ، ورباك عليها أعنى امير المؤمنين نور البلاد المغربيه سيدى محمد العياشى جزاه الله عنا واياك وعن المسلمين خيرا ، فهو سيدنا وسيد غيرنا الذى ندين الله بمحبته ويجب علينا وعلى المسلمين تعظيمه وتعظيم من هو منه بسبيل » ثم قال الشيخ ابن ناصر رحمه الله بعد كلام ما نصه : « وتستوصى بآل سيدنا وسيد المسلمين فى زمانه كافة خيرا سيدى محمد العياشى فهو عزك وبتعظيمهم قوام امرك وهذا من نصيحتى اليك التى هى من نتيجة محبتنا لك فعاملهم بالوفاء ، ولا تؤاخذهم بالجفاء » انتهى المقصود منه .

ولولد سيدى محمد العياشى وهو الفقيه العلامة سيدى عبد الله ارجوزة نظم فيها أهل بدر وتوسل بهم الى الله تعالى فى هلاك الذين تمالوا على قتل ابيه ، فلم تمض الا مدة يسيرة حتى دارت عليهم دائرة السوء ولم يسج منهم احد :

وفى « البستان » : « ان ابا عبد الله محمد الحاج الدلائى دخل بلاد الغرب وذلك بعد مقتل أبى عبد الله العياشى فلقبه ولده سيدى عبد الله المذكور بجموع الغرب بوادى الطين فوقعت الحرب فى قبائل وانتهت حللهم

ومواشيهم ، انتهى : وكان ذلك فى اوائل ربيع الاول سنة ثلاث
 وخمسين والـف
 ولسيدى عبد الله ابن سيدى محمد العياشى فى بعض زياراته
 لايه قوله :

أتينا اليك وانفسنا تكاد من الخوف منك تذوب
 ولم ندر اين هواك الذى تحب فتحو اليه القلوب
 أقمنا فخفا وجثنا فخفنا فمن خوفنا قد دهتنا خطوب
 فما نحن من خوفنا منك حيرى وهانحن من خوفنا منك شيب
 قال اليفرنى فى «الصفوة» : واخبرنى حافده العلامة قاضى القضاة ابو
 عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد العياشى ان جده سيدى
 عبد الله المذكور كان قد اصابه مرض اعيبى الاطباء علاجه فلما طال عليه
 أمره رغب منهم ان يحملوه الى ضريح الشيخ سيدى الحاج احمد بن عاشر
 بسلا فلما وقف على الضريح انشد ارتجالا :

أقول لدائى اذ تفاقم امره وعز الدوا من كل من هو ناصرى
 الا فانصرف بالله عنى اتسى انا اليوم جار للولى ابن عاشر
 قال فكانما نشط من عقال وانقشع عنه سحاب ذلك الضرر فى الحال ،
 وكانت وفاة سيدى عبد الله المذكور ليلة عرفة سنة ثلاث وسبعين والـف
 ودفن بجوار الولى الاشهر الشيخ ابى سلھام من بلاد الغرب وبنيت عليه
 قبة صغيرة ، واخبار العياشيين ومحاسنهم كثيرة وبيتهم بيت خير وصلاح
 رحمهم الله ونفعنا بهم آمين



ظهور اهل زاوية الدلاء واوليتهم بجبال تادلا وما يتبع ذلك

اما نسبهم فهم من برابرة مجاط بطن من ضهاجة حسبما ذكره ابن خلدون وغيره ، وكان مبدأ امر اهل زاوية الدلاء ان جدهم الولي الاشهر سيدي ابا بكر بن محمد وهو المعروف بحمي بن سعيد بن احمد بن عمر ابن يسرى المجاطي كان ممن اخذ عن الشيخ الصالح ابي عمرو القسطلي دفين مراکش وسكن الدلاء واتخذ هنالك زاوية ، فجاء ولده الولي الاظهر أبو عبد الله محمد بن ابي بكر فكمل من الفضائل ما بقى وابدى من الاسرار ما خفى فتناقل الركبان حديث هذه الزاوية وقصدها الناس من كل ناحية الى ان كان من اولاد الرجلين ما نذكره .

واخذ الشيخ محمد (فتح) بن ابي بكر عن الشيخ ابي عبد الله محمد الشرقي فحصل له من الحظوة والوجاهة فوق ما كان لسائر من عاصره وكان اعلام الوقت كالحافظ ابي البعاس المقرئ ، والحافظ ابي العباس بن يوسف الفاسي ، والامام ابي محمد بن عاشر ، والفقير العلامة ابي عبد الله محمد ميارة وغيرهم يقصدون زيارته والتبرك به ويراجعونه في عويص المسائل العلمية ، وكان رحمه الله عالما حافظا دراكا متوسعا في علمي التفسير والحديث وعلم الكلام حسن المشاركة فيها وفي غيرها وكانت وفاته سنة ست واربعين والفس .

قال اليفرنى : وحدثني غير واحد من اشياخنا انه لما دنت وفاته جمع اولاده وعشيرته وقال لهم : « ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده ، وانا اقول لكم : « ولا من اغترف غرفة بيده » يشير بذلك الى ما تجاذبوه من امر الرياسة بعده وذلك من مكاشفاته رضى الله عنه . وقد اعترض عليه بعض الطلبة في قوله : وأنا اقول ، بأنه سوء ادب لمقابلة كلام الله بكلامه ، واجاب عنه حافده ، وهو الفقيه العلامة الشهير ابو عبد الله محمد بن احمد بن

المسناوي بن محمد بن ابي بكر ، برسالة مستقلة
ولما توفي خلف من الاولاد عدة فكان اكبرهم : ابو عبد الله محمد
الملقب بالحاج لانه حج مع ابيه ووحده مرارا ، ويقال : انه خطب الناس
يوم عرفة على ظهر الجبل لامر اقتضاه الحال ولم يكن ذلك لاحد من
اهل المغرب قبله . وفي ايامه تكامل امر اهل الدلاء وشاع ذكرهم .
وكان للزاوية في ايامه وايام ابيه صيت عظيم وكان بها من معاطاة
العلوم والدؤوب على درسها واقرائها وقراءتها ليلا ونهارا ما تخرج به
جماعة من صدور العلماء واعيانهم كالشيخ اليوسى واضرابه ، حتى كانت
اليها الرحلة في المغرب لا يبعدها الطالب ولا يأمل سواها الراغب .
وتمهد الامر بها لابي عبد الله محمد الحاج وأولاده واخوانه وبنى
عمه الى أن تملك مدينة فاس ومدينة مكناسة وأحوازهما وكافة القطر
التادلي .

قال في «نشر المثنى» : وفي سنة ست وأربعين وألف كان قيام محمد
الحاج الدلائي على الشيخ ابن زيدان» قلت : ولعل المكتبة الآتية بيانها
بعد انما كانت في هذا التاريخ .

وقال في «الباستان» : «وفي سنة خمسين وألف زحف محمد الحاج
الدلائي بعساكر البربر الى مكناسة فاستولى عليها ثم زاد الى فاس
فاعترضه أبو عبد الله العياشي بجموع اهل الغرب ووقعت الحرب بينهما
فانهزم العياشي وسار محمد الحاج لحصار فاس فرجع العياشي وأعاد حربا
ثانية ، فانهزم محمد الحاج وعاد الى بلاده . وفي سنة احدى وخمسين
وألف بعد موت العياشي نزل محمد الحاج على فاس وحاصرها ستة أشهر
وقطع عنها المواد وجميع المرافق الى أن لحقهم الجهد وارتفعت الاسعار

فدخلوا تحت حكمه* ولما قام اجتمعت عليه برابرة ملوية وأذعنوا له
واعصوبوا عليه ، وقد كانت بينه وبين السلطان محمد الشيخ بن زيدان
وقعة أبي عقبة فانهمز فيها السلطان المذكور وانتشر جمعه وذلك في سنة
ثمان وأربعين وألف ، ومن ثم قطع النظر عما وراء وادي العيبد

ذكر ما وقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين اهل زاوية الدلاء
من المراسلات والمعاتبات

قال في « النزهة » : وفي أيام السلطان محمد الشيخ بن زيدان
قويت شوكة اهل الدلاء وانتشرت كلمتهم في بلاد الغرب ، وضعف الشيخ
عن مقاومتهم وعجز عن مقارعتهم ، وبعث اليهم قاضيه العلامة الفقيه ابا عبد
الله محمدا المزوار المراكشي يطلب منهم ترك الشنآن والرجوع الى
اجتماع الكلمة ، ويحتج عليهم بان اباهم الولي الصالح سيدي محمد بن
أبي بكر كان قد بايع أخاه الوليد بن زيدان ، والتزم طاعته وانهم أولى
الناس بأقتفاء طريقته واتباع منهاجه ، فلما بلغهم القاضي المذكور وادي
الرسالة وتل مافي العيبة وبين قصده اعتذروا اليه بمسائل وتعللوا بوجوه .
قال « اليفرنى » : وقد وقفت على رسالة كتب بها السلطان محمد

* ذكر سيدي عبد السلام القادري في كتابه المقصد الاحمد: أن محمدا الحاج الدلائبي
حاصر المعمورة وحضر معه في حصارها سيدي محمد بن عبد الله معن الاندلسي وولده
سيدي أحمد ولم يذكر تاريخ الحصار المذكور ولعله وقع عام ١٠٥٢ بعد استيلائه على فاس
وينبغي تحقيق هذا التاريخ بالمظان الاروية انظر المقصد ج ١ ص ٨٤ وحكى القادري
في النشر في حوادث سنة ١٠٥٧ خروج الناس للجهاد بحلق المعمورة قال: ثم رجعوا بعد
ايام ومات كثير منهم بمرض اصابهم من ماء شربوا هنالك اهـ وكنت وفاء سيدي محمد
ابن عبد الله معن ثالث جمدي الثانية سنة ١٠٦٢

الشيخ المذكور اليهم بعد رجوع القاضى من السفارة وهذا نص القدر
المحتاج اليه منها بعد الخطبة ، ولتصرف عنان الغرض لمن عيناه لمسنون
العتاب والمفترض ، من هم لدقائق المجاز ضابطون ، وفي حقائق الجواز
خابطون ، أهل وطن الدلاء لمن هو لورود الشراب محتاج ، السيد ابو القاسم
ابن ابراهيم والسيد ابو عمرو والسيد محمد الحاج ، ومن نشر صحف
الانصاف منهم مطابق ، كالسيد المسناوى والسيد عبد الخالق ، ولا زائد
الا قصد ايقاظكم من الغفوة التى طال كطلوع الشمس من المغرب ليها ،
وامتد كارض المحشر فرسخها وميلها ، هل هذا منكم استخفاف بحضرة
الخلائف او تعام وتعام عما يجب على الرعايا من لازم الوظائف ؟ هذا
من العار الماحى لصحف المناقب ، ولا يلوى بمن توخاه الا للمهيع الذى لا
تحمد لمتجمه العواقب ، وخصوصا مثلكم الذى شق عصا الشقاق ، وشرع
يمد ايدى الاطماع فى استخلاص قبائل الآفاق ، وكتتم لا تدرن لباس
القمصان ولا الشواشى ، الى أن جسر كم على وطء الغرب فاخذكم معه
المقتر محمد العياشى ، فبهذتم موائد الضيوف ، وتقلدتم بلا حياء السيوف ،
واعانكم اضطراب القبائل مع وقوع الجوع ، ومن مضى الى اى قطر تعذر
عليه الرجوع ، الى أن أمكنتم من أزمته الرعايا وكل غنيد من رباط
تازا الى وادى العيد ، فاستحلتم سكر الجبايات من الابريز والفضة الى
أن جمعتم منه مالا ينحصر فى عد ، بواسطة القرافى والمتصر من غير أن
تنفقوه على اقامة جند ، ولا انتفع به الا أشباع المومسات وشياطين الفساد
والشر ولم تراقبوا مكر من رفعكم عن غمار عموم البرابر ، وأعدكم فى
القباب على الاسرة وفى بيوت الله على الكراسى والمنابر ، عويتم علينا
معشر الثوار كالذئاب من كل عراء وشعبة ، لتكون عزيمة نهوضنا اليكم
معطلة صعبة ، وان لا تدرى أين تميل النفوس ، ألتلك الصحارى ام الى
ايلينج السوس ، وهذا المغرب لا يخلو ملاآن من نواميس كل كاهن ومدع
قرقار ، تمسى فيه البومة خاملة وتصبح بالمخلب والمنقار ، ومعادين الهمز
واللمز والمجون ، هم أهل الزوايا والديارات والفتادق والاسواق

والسجون ، لكن من صفته يمينه لا يبكى ، ومن ألقى يده الى التهلكة لا يشكى ، أهملناكم وأهملناكم لعوائدكم من العبادة والطعام ، فطلعتم لنا فى الحلوق عظاما ورعام ، لم تعلم الفقراء الا بحرمة جاه الدخيل ، على صلح أو زواج أو لسماح البخيل ، وحتى الآن دعوناكم لعقد البيعة الواجبة لنا على كل من أطاع أو عصى ، من وجدة الى حدود السوس الاقصى ، فنزهد لكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية واهلها ، بشرط ان تفيقوا من سنة الغفلة وجهلها ، وان أمسكتم أقدام الانقياد عن سلوك سبيل السداد وقبول سوله ، فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، فقد شيعنا لكم فقيها وقاضينا أبا عبد الله محمد المزوار . فصدتموه أربب صد ، وانقلب عن المحاوراة مردودا أقبح رد ، لو لم نبال بكم بالفكر والذكر ، ما صرفنا فيما سلف بوصيفنا الامين مباركا السوسى ، فثيد ضريح "سيد محمد بن أبى بكر ، فدنستم خالص عرضه فانه كان لكم علينا بريدا وبصيرة ، بما انطوت عليه منكم غرة السريرة ، فقص علينا ، دون أن نفحصه . ان عين الجحش فراره ، ولا يسعنا ان ندعكم مع أشراف سجلماسة وبنى موسى تلعبون بنا كهر الغالية فى القفص ، لا يعطى غناه غلته الا بوخز المسال التى تكلفه الرقص ، وحاصل الغرض تأدية البيعة كما عقدها أبوكم الابر الجواد المرحوم الفاضل المجيد لاخينا الارضى مولاي الوليد ، لتنتظم كلمة الاسلام فى الاقطار ، اذ لو فعلتم لاقضى أثركم جموع المتجعين والامصار ، وان عظمت عليكم مفارقة تقبيل الرأس واليد والركبة فانتظروا صبيحة طلوعى عليكم طلوع الفجر على غسق الليل ، بخضرم خضرم من الرماة والحيل ، ونؤم بعدكم دولة الاشراف الصحراوية ونلوى على زاوية الساحل الى أن تعود الايالة الشيخية علوية عالية ، بالصيت والذكر ، او تهوى الى حضيض بنى سعد بن بكر ، انتهى .

وكان جواب أهل زاوية الدلاء عن هذه الرسالة ما حاصله باختصار : ولا زائد بعد حمد الله الا أن مسطوركم الاحرش لما ورد ساحتنا سلب الازهان

والعقول فلا جارحة الا ولها حصة من الطنين ، فكادت الجبالى تسقط
المشاييم فضلا عن الجنين ، فياله من صوت زجر لا ينسى علينا طول السنين
أسمعتنا غرائب لم تمر مرارتها على أهل الدهر الا تى والغابر ، لو صدح
بها على جبانة لنهض أهل المقابر ، حتى سمتنا بالحسف فى أسواق المذلة
والهوان ، وما نحن الاعز وركن لكل من طرقه وصمة أو غمه وأنت
تعمل بتدابير وشارة الاعلاج المجبولين على طبائع الخداع والغش ، وتبنى
على قواعد مالكم بها من عرين ولا عش ، ومن الدليل الشاهد والبرهان ،
فتكهم بأخيك مع مشاورة النسوان ، على غيب من الجند والديوان ، فلا
تدعهم يخدعونك وهم سلبوا روح جدك السمي من غمد الجسد ،
وحملوا هامته فى مخلاة من مسد ، وايم الله لئن داموا لك فى الغرب
بظانة لطلقوا عليك ثلاثا او طانه . واما نحن فبيعة والدنا رحمه الله لم
تزل لنا فى الاعناق ، ولا ينبغي أن تعاد فكرر ، كالظهير لمن تحرر ، وأيضا
منعنا من تجديدها انسلال البربر عن ساحتنا ، فكون أقوى سبب لفضيحتنا
وأجلها هذا الاجدل الذى لا تؤده سموم الليالى ولا حرارة فيظ المصيف ،
مولانا محمد بن مولانا الشريف ، عقاب أشهب على قنة كل عقبه لم يقنمه
عد المال دون حسم الرقبة ، وربما غرتنا غفلة فيشن الغارة على شعوب
شعاب ملوية ، او ينشر جيوشه على رباط تازا بالرايات والالوية ، سيما
وجناحاه ذوو النفوس النفيسة ، بربر صنهاجة وعرب دخيسة ، بزاة
النزوات ، بالحلة والمحال والغزوات ، والعياشى كما تعلمون كانت هممة
هجرته أولا مللة أهل الشرك ، ثم مد خطا العزم الى درجة الملك . وأما
وصيفكم الامين مبارك السوسى فحيث اتاخ علينا ككل الاقامة لاختطاط
ضريح الوالدين رحمهما الله قمنا بوظيف حقه الظاهر والباطن ، حيث
اختبر بعين الحقيقة أرجاء أغوار المواطن ، ولاشك أن حال مطالعته هى
التي ادرخت لنا فى سوق خواطركم الاسعار ، الى أن نصبتم لنا بعد
الرضا جبال الاذعار الجالبة للعار ، وجد قبائلنا متبددة على ضم جوب
الصيف ، وأعيانهم مغتدين على الحيول بدون رمح ولا مدفع ولا سيف ،

فخالهم على غرة غنيمة باردة ، وما علم أنهم أغوال الغيل صادرة وواردة ،
فان كانت معاينته هي التي أطمعتك أن يعودوا بعد العز نوابي فما درى أن
ظنه كان الخاوي الحائب ، من ركب الخيل لنفسه دون راتب المخزن ،
لا ترضى همته أن يهان فيحزن ، وقاضيك السيد محمد المزوار حيث عاين
وفود الاقاليم منتشرة كالجراد على الازقة والادراب دون من لازم خدمة
الابواب ، تحقق عيانا ان انتظام شمل المالك والمملوك لا يكون الا على عظماء
الملوك ، فقص عليكم وعلى من حضر ما اعتقد وسمع ونظر ، وحتى الان
ان قصدتم الغرب أو حصن فاس لا تنالكم من جانبنا مساة ولا باس ،
فبعد أن يكون لكم في المدينة البيضاء الجديدة والقديمة قرار ، يكون لنا
بعد ذلك حكم الاختيار ، بين أن نؤمن لك أو نترك لك الديار ، أو
نستصرخ بمن هو مثلك شريف حقيقي وسلطان ، له شغف أكثر منك
في ضبط الاوطان ، فنقابل اذذاك القصوره بالساط ، ونلقى بطانة من شاط
لاسلان الامشاط ، أيهما للغرب غلب ، نؤدى له على الرغم ما طلب ، وان
قنعت بحوز الحمراء من مراكش ، ورفضت عنك معانة الهراش والتناوش ،
فدعنا ومراعاة من تجارته الرئاسة ، وهمته اشتراء نفيس السياسة
ضرغام غاب سجلماسة . وأما صاحب ايلينغ السوس فما مراده
ومراد ذويه الا غنيمة سلامة الاعراض وتجارة سلب النفوس .
وفيما تلوناه عليك من القصص كفاية فلئن غادرتنا مستترين في حرمة
الاحترام والوقار فنعم ، وان زاحمتنا بمنكب الهوان يدافعك عنا من ادعى
أنه زعم ، وان طرفنا مناخ عزمك على عبور وادي العبيد او ام الربيع ،
فهناك يجمع الله بين من يشتري ويبيع ، والسلام . وكتب عن اذن جمهور
اخوته عبد الله المسناوى ابن محمد بن ابي بكر الدلائي في يوم الاحد
الثاني والعشرين من رجب انتهى

ولما رأى السلطان محمد الشيخ بن زيدان تعاصى أهل زاوية الدلاء
عليه واستحكام امر الغرب لهم وتقويهم بالعدد والعدد صرف عنانه عن
مقارعتهم ومال الى مسالمتهم وقطع النظر عما في أيديهم والامر كله لله .

ذكر ما دار بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين الامير

المولى محمد بن الشريف رحمهما الله تعالى

كانت المكاتبات والمراسلات تقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدى وبين الامير المولى محمد بن الشريف السجلماسى ، فمن ذلك رسالة بعث بها السلطان المذكور الى الامير المذكور فكان من فصولها ان قال له : « وبلغنى انك تعلن فى النوادى من الحواضر والبوادرى : ان جرثومة اتماننا لبني سعد بن بكر بن هوازن ، مع انها فى بنى نزار بن معد وافية المكاييل ثقيلة الموازن ، واننا من تيدسى أحد القصور بوادى درعه ، ومنها انبت الله اصلنا فآزهر غصنه واثمر فرعه ، فلئن كان غرضك حط منطقة قدرنا من اللب فهذا من العلى عليك عار ، وان تحاول محونا من صحيفة النسب ، فتلك دعوى لا تغلى او ترخص أسواق الاسعار ، وقد صرفنا اليك نسخة من «مناهج الصفاء فى أخبار الشرفاء» ليطلع عليها انظارك من الملوك فيزول ما بالحاطر من اشراك الشكوك »

فأجابه المولى محمد بن الشريف عن هذا الفصل بأن قال له : « وعتابكم اننا عزوناكم لبني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور ، وناشرون لذلك فى الحلل والمدن والقصور ، تالله ما فهنا بذلك عن معايرة لكم ولا جهل ولا بان نضيفكم لمن لا عشيرة له ولا اهل ، بل اعتمدنا فى ذلك بحمد الله على ما نقله الثقات المؤرخون لآخبار الناس ، من علماء مراکش وتلمسان وفاس ، ولقد أمعن الكل التأمل بالذكر والفكر ، فما وجدكم الا من بنى سعد بن بكر ، ولا معول على كنا ب المنصور من الفشائلة ، ولا ابن القاضى المكاسى ، ولا ابن عسكر الشريف الشفشاونى ، وسواهم ، اذ الكل أهل بساطكم ، ومحل مزاحكم وانبساطكم ، ولقد بلغتنا نسخة « مناهل الصفا » فلم نجد فيها موردا عذب وصفا ، وكفى دليلا بالباطن والظاهر ، قول الثقة مولانا عبد الله بن طاهر ، ومع هذا فلم نعتد دفعكم عن شرف

النسب ، ولا رفعكم على ما وسمكم الله به من زينة الحسب ، انتهى الغرض من هذه الرسالة . واثار بقوله قول الثقة مولانا عبد الله بن طاهر الى ما اتفق له مع المنصور حين جالسه على المائدة وقال له المنصور : «أين اجتمعنا؟» فقال له ابن طاهر : « على هذا الحوان » والحكاية قد مرت في صدر هذه الدولة السعدية

ومما كتب به السلطان محمد الشيخ بن زيدان للامير المذكور ايضا وذلك حين غلب المولى محمد على فاس وملكها ، فكتب اليه السلطان المذكور يحذره من غائلة أهل الغرب وغدرهم برسالة من انشاء وزيره القائد أبى عبد الله محمد بن يحيى آجانا وفي آخرها قصيدة من انشاء القائد المذكور وهى :

ياشبل مولانا الشريف محمدا	شمس السعادة والهلال الاكمل
ملات مهايتك الكبيرة مغربا	فزعت بمشرقه اصبهان وموصل
صقر الصياصى على الاعادى صائل	طورا يغير وفي الملاحم سيتل
أنيابه البيض الحداد صوارم	وبكل ظفر منه أتر مقصل
فجناحك الجرد العتاق وان نظر	ت الى تلمسان يطيش الشمال
هابتك ثوار الاقالم عنوة	والوحش فهى يفص منها المنهل
قد طبنت ان عرفت عروقك فى الوغا	خلت العنابرديف فيها المندل
يامالكنا سعدت به اوطاناه	فيما مضى وزها به المستقبل
نادى بك النصر العزيز لمغرب	ولكم على فاس الجديد الكلكل
فاحذر كما حذر الغراب ولا تكن	كالبط يطفو عن مطاه القوقل
واعدل تفوز ولا تواخى طامعا	ترد العداة وتعم عنك العذل
لا تصد من جبل البرابر واصطبر	حتى يهون على الجوايسس مدخل
لا تأمن الاعراب فى أقوالها	واقمع فضاضة من يجور ويختل
وعليك بالفارات فى اوطانها	بكتائب تسبى الاناث وتقتل
واغضض ولا تردى تجار مدائن	يقى عليك الستر دأبا يسبل
لا تتخذ من حصن فاس صاحبا	أو حاكما يصل الامور ويفصل

كالبل عادته الفرار وان غدا
لا تنقلن الى الصحارى ذخائرا
واضرب لييت الملك أوتاد الدها
الف وفود الغرب واعرف قدرها
وابسط يديك على العيال هنيئة
هذى وصايا قد اضنا حقوقها
فمتى نشد الى المعالى رحالنا
فرضنا متبعين أحكام القضا
فاجابه المولى محمد بن الشريف فى سنة تسع وخمسين والف
بقصيدة ختم بها جوابه من انشاء الفقيه ابى عبد الله محمد بن سودة
الفاسى ونصها :

أمحمد الشيخ بن زيدان الرضا
فلقد اجبتك عما قد كاتبتي
انى ابث لكم وصايا جمعة
فالى متى طول الرقاد أما ترى
والدهر ينتف فى ريش جناحك
ما من ملك ذاق لذة راحة
أحرى الذى كرت شقا نواره
تحال تخدعه بكل جباله
فاستيقظن من الحمار ومن رعى
وانفض غبار الذل واخلع ثوبه
ضيعت ملكك فى الرخا وتركه
وركت للظل الورىف وغادة
واذا اردت دوام هية همة
دع عنك فى الحمرا مروق سفرجل
واركب مطايا الصافنات الى الوغا
فخر الخلائف والهمام الاكمل
نظما ونثرا كى ترى ما يمثل
ان انت للنصح المصرح تقبل
أضعان ملكك كل يوم ترحل
ويدنسن من الصفا ما تغسل
الا تجلى له الهوان فيسفل
يعوى عليه لكل عاد معقل
حتى يهاد كما يهاد النعل
فى أرض آساد الشرى لا يغفل
يزداد وجهك بهجة ويهلل
للخزى فى دار الهوان يذل
يزهو البديع بها اذا ما ترفل
وتدوم فى ستر عليكم يسبل
ومدربلا بالزعفران يفلل
اما تحوز مزية او تقتل

واقرع طبولا للرعاة وفي الوغا
 وخض القفار وهز رمحا وادرع
 خاطر بنفسك في الفيافي جائلا
 واصطد نهارك بالسلاق وبعدها
 وقد الجيوش كما الوحوش ولا تدع
 جنب آجانا الجبن في تدبيره
 لا تجمعن من العلوج بطانة
 اما الشبانة فاخذرن من غيرها
 ترجو عواقب دولة لنفوسها
 يعطف عليك الدهر بعد نفوره
 ما ذاق زيدان ابوك حلاوة
 فاذا امتلت صواب صدق وصيتي
 واعلم ان هذه الرسائل والاشعار التي اثبتناها هنا نازلة كما ترى
 عن درجة البلاغة ، وعادمة لما تستحقه من فن الوزن ونقد الصناعة ، ولكن
 لما كان الكتاب كتاب تاريخ واخبار ، لا كتاب ادب واشعار ، لم نبال بذلك ،
 اذ كان المقصود منها ما تضمنته من بيان الاحوال ، والافصاح عنها على أصح
 منوال ، فان هذه الرسائل هي عماد التاريخ وملاكه ، ونازلة منه بالمحل
 الذي نزلت من الدر اسلاكه ، فلذا اكرنا منها في هذا الكتاب .
 والله تعالى الملهم للصواب



وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله

كانت وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله سنة أربع وستين والف ، وفي « نشر المثنى » أنه توفي قتيلا سنة ثلاث وستين ألف ودفن بقبور الاشراف من قصبة مراكش في روضة أبيه وعشيرته ومما نقش على رخامة قبره قول القائل :

لبدر سموات المعالي افول وفي ذا الضريح كان منه نزول
محمد الشيخ بن زيدان غاله حمام فحزن العالمين طويل
امام الانام ذو المآثر فعله له غرة في الصالحات جميل
جاءه اله العرش رحى تخصه بما هو في الفردوس منه كفيل
وزراؤه : يحيى آجانا وولده محمد وغيرهما ، وقضاته : ابو مهدى
عيسى بن عبد الرحمن السكتاني ، وابو عبد الله محمد المزوار رحيم
الله الجميع

الخبر عن دولة السلطان ابي العباس احمد بن محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله

لما توفي السلطان محمد الشيخ في التاريخ المتقدم بويح ابنه ابو العباس أحمد ، والعامه يقولون مولاي العباس بدون لفظ الكنية ، وقام مقام ابيه في جميع ما كان بيده الا ان حى الشبانات ، وهم اخواله ، قويت شوكتهم في ايامه وغلظ امرهم عليه ، ووثبوا على الملك وراموا الاستبداد به ، فضايقوه وحاصروه بمراكش اشهرا

ولما رأت امه ان الامر لا يزيد الا شدة كلمته في ان يذهب الى اخواله وياخذ بقلوبهم ويزيل ما في نفوسهم عليه ، فذهب اليهم فلما تمكنوا منه قتلوه غيلة ، وأقبلوا الى مراكش مسرعين وبايعوا فيها لاميرهم عبد

الكريم بن ابي بكر الشبانى ثم الحرىزى كما سياتى
 وكان مقتل السلطان أبى العباس رحمه الله سنة تسع وستين وألف
 كذا فى «النزهة» . والذى فى «نشر المئانى» : أنه قتل سنة خمس
 وستين وألف والله اعلم بغيره
 قال اليفرنى رحمه الله وقد أذكرتنى هذه الفعلة قول المولى محمد بن
 الشريف فى قصيدته السابقة :

اما الشبانة فاحذرن من غيرها لا بد تغدر بالاخير وتخذل
 فان الامر وقع كما قال ، مع أن المولى محمد بن الشريف كتب
 بالقصيدة المذكورة للسلطان محمد الشيخ فى سنة تسع وخمسين وألف ، وغدر
 الشبانان للسلطان أبى العباس كان سنة تسع وستين وألف ، ولعل المولى
 محمد بن الشريف تلقى ذلك من بعض أهل الكشف أو نحوهم ، فان
 كلامه كثيرا ما يقع فيه مثل هذا ، وبمهلك السلطان أبى العباس رحمه
 الله انقضت دولة السعديين من آل زيدان ، وانهار جرفها وانطوى
 بساطها ، وسبحان من لا يبيد ملكه ولا يزول سلطانه لاله الا هو
 العزيز الحكيم .



الخبر عن دولة الشبانان بمراكش واعمالها

وما آل اليه امرها من دنورها واضمحلالها



لما قتل السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ بن زيدان فى
 التاريخ المتقدم نار كبير حى الشبانان بمراكش من عرب معقل ، وهو
 الرئيس عبد الكريم بن القائد ابي بكر الشبانى ثم الحرىزى ، وحرىز
 فخذ منها هى التبعة والصميم فيها ، وعبد الكريم هذا يعرف عند العامة
 بكروم الحاج ، فدخل مراكش ، ودعا الناس الى بيعته فباعوه بها سنة
 تسع وستين وألف ، وانتظمت له مملكة مراكش ونواحيها ، وسار فى

الناس سيرة حميدة ، وكان في أيامه الغلاء المؤرخ بعام سبعين وألف ، وهو غلاء مفرط بلغ الناس فيه غاية الضرر حتى أكلوا الجيف ، ولم يزل مستقيم الرأي بمراكش الى أن توفي بها سنة تسع وسبعين والالف قبل أن يدخلها المولى الرشيد بن الشريف باربعين يوما .

وقال منويل : لما بايع أهل مراكش عبد الكريم الشبانى خالفت عليه آسفى وأعمالها فغزاهم ثم رجع مفلولا الى مراكش ، وكانت المجاعة المشهورة عقب ذلك ، ثم قله بعض اجناده دخل عليه فطعنه برمح فأنلفه ، ثم قبض على القاتل وقتل أيضا في الحين ، ولما توفي بايع الناس ولده أبى بكر بن عبد الكريم فبقى الى أن قدم المولى الرشيد وتقبض عليه وعلى عشيرته فقتلهم ، ثم تبع الشبانى فأنفاهم قتلا وأخرج عبد الكريم من قبره فأحرقه بالنار ، وانقرضت دولة الشبانى والبقاء لله وحده .
ولنذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث فقول :

في سنة ثلاث عشرة والالف في ثانى عشر محرم منها توفي السولى الكبير أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحسن الخالدى السلاسى المعروف بابن حسون نسبة الى جده الحسن المذكور ، وهذا الشيخ هو دفين سلا الشهير بها أصله من سلاس مدشر على مرحلة من فاس ، ثم انتقل الى سلا ، وسبب انتقاله اليها : أنه كان بين أهل سلاس حروب ومقاتلات فكان الشيخ أبو محمد عبد الله اذا غلب أهل مدشره فرح واذا انهزموا حزن ففكر في نفسه وقال : « محبة الغلبة تستدعى محبة الشر للمسلمين وعلى عهد الله لا جلست في موضع أفرق فيه بين المسلمين وأبغى الشر لهم » فارتحل الى سلا . ولما استقر بها أتاه جماعة من عشيرته يراودونه على الرجوع الى بلادهم وحثوا عليه في ذلك فاخذ قدحا وملاء من ماء البحر ووضع ثم قال لهم : « ما بال ماء البحر يضرب بعضه بعضا وتلاطم أمواجه وما لهذا الماء الذى منه فى القدح ساكن؟ » فقالوا له : « لانه لم يبق فى البحر » فقال لهم : « الغربية تصفى وتسكن » فعلموا مراده وانصرفوا آيسين ، قلت : وفى انتقاله من سلاس الى سلا اشارة لطيفة وهى ان لفظ

سلاس باعتبار تفكيكه سلو موصول بحرف السين وهو حرف ذو قرون ثلاثة متشعبة فيؤخذ منه بطريق الاشارة انه سلو موصول بكدر، بخلاف لفظ سلا فانه سلو محض ، وقد قدمنا في أخبار ابن الخطيب رحمه الله أن مدينة سلا كانت مقصدا للعباد واهل الخلوة والانفراد من لدن قديم ، أخذ الشيخ ابن حسون عن ابي محمد الهبطي عن أبي محمد الغزواني عن التابع عن الجزولي رضى الله عنهم ، وكان صاحب أحوال تهدي اليه الثياب الرفيعة فيأمر بها فتلقى في بيت مسدود فتبقى فيه حتى يأكلها السوس وتضيع ، وكان كل يوم يصبح على بابه ارباب الآلات بالطبول والابواق يضربون عليه التوبة وغير ذلك ، وقد تكلم عليه الشيخ اليوسى في المحاضرات وحمله محملا جميلا ، وكرامات ابن حسون كثيرة شهيرة نفعنا الله به وبآمناله .

وفى السنة المذكورة فى ربيع الاول منها توفى الشيخ العارف بالله تعالى العالم الربانى أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسى جد السادة الفاسيين ، وأخباره ومناقبه شهيرة قد تكفل بسطها كتاب « مرآة المحاسن » لابنه العلامة أبى عبد الله محمد العربى الفاسى الموضوع لهذا القصد بالخصوص .

وفى سنة أربع عشرة وألف كان الغلاء العظيم بفاس ، قال صاحب « الممتع » فى ترجمة الشيخ أبى عبد الله محمد بن حكيم الاندلسى : « انه اعتراه ذات يوم حال فجاء الى بعض افران فاس وجعل يقول لصاحب القرن : « أغلق فرنك ، أغلق فرنك » ويصيح به فاذا بالغلاء العظيم حدث عقب ذلك ، وهو غلاء سنة أربع عشرة وألف فتعطل ذلك القرن وغيره من أفران المدينة ، وكان يمر بالطرقات فيقول : « الناس يأكلون عن أولادهم » ويكرر ذلك على جهة الانتكار فجاء الغلاء المذكور فكان الناس يأكلون فى الاسواق عن أولادهم ولم يكن يعهد الاكل بالاسواق قبل ذلك .

وفى سنة خمس عشرة وألف فى ثانى جمادى منها جاء بفاس سيل

عظيم حتى غمر دور عمل الفخارين وذهب ببعض أنادر الزرع وحمل أمة من باب الفسوح فماتت .

وفى سنة اثنتين وعشرين وألف حدث الشر بفاس ووقع الغلاء حتى بيع القمح بأوقيتين وربيع للمد ، وكثرت الموتى حتى ان صاحب المارستان أحصى من الموتى من عيد الاضحى من سنة اثنتين وعشرين وألف الى ربيع النبوى من السنة بعدها أربعة آلاف وستمائة ، وخربت أطراف فاس وختلت المداشر ، ولم يبق بلمطة سوى الوحوش .

وفى سنة ثلاث وثلاثين وألف وذلك عند فجر يوم السبت الثانى والعشرين من رجب منها حدثت زلزلة عظيمة بفاس ، ذكر صاحب «المتع» فى ترجمة ابي عبد الله بن حكيم المذكور آنفا : انه كان قبل الزلزلة المذكورة يصيح : المردومات المردومات ، فاذا بالزلزلة حدثت ، قال : فما بقيت دار من دور فاس غالبا الا دخلتها الفؤس .

وفى خامس شعبان من السنة المذكورة نزل برد عظيم قدر بيض الدجاج وأكبر وأصغر ورىء حجر عظيم منها نزل على خيمة فخرقها وفر أهلها عنها وبقي لم يذب نحو ثلاثة أيام .

وفى سنة ست وثلاثين وألف توفى الامام العارف بالله تعالى أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسى المعروف بالعارف بالله وهو اخو ابي المحاسن المذكور آنفا ومناقبه شهيرة أيضا .

وفى السنة المذكورة كان الغلاء بفاس والمغرب .

وفى سنة أربعين وألف عشية يوم الخميس ثالث ذى الحجة منها توفى الشيخ الامام العلامة الهمام أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الانصارى نسبا الاندلسى اصلا الفاسى منشأ ودارا الفقيه المشهور كان رحمه الله له الباع الطويل فى المشاركة فى العلوم مع غاية التحرير والتحقيق وله التاليف الحسان التى أغنى فيها عن الحبر العيان ، وكان ورعا سنيا وكان لا يتخذ القراء على جنائز أقاربه ويقول : يمنعنى من ذلك أنهم يفسدون قراءة القرآن وقراءتهم تلك عذر فى التخلف عن الجنائز ،

وفى سنة اثنين وخمسين وألف توفى الشيخ الامام أبو عبد الله محمد العربي بن أبي المحاسن يوسف الفاسى كان رحمه الله متفنا عالما له عناية كبيرة بتحصيل المسائل وتقيدها ، والاطلاع على غريبها وشريدها ، وهو صاحب « مرآة المحاسن » وكان جوالا فى بواى المغرب وحواضره حتى أدته خاتمة المطاف الى مدينة تطاوين فألقى بها عصا التسيار الى أن توفى فى السنة المذكورة ثم نقل الى فاس بعد سنتين فوجد طريا رحمه الله .

وفى سنة ستين وألف كان بالمغرب رخاء مفرط وغلاء مفرط وبلغ صاع البر بمدينة سلا متقلا وكاد يندم بالكلية وهو غلاء لم يعهد مثله وانتشر الفساد فى البلاد وحل بالمغرب وباء كبير حتى كان الناس يموتون فى كل طريق رجلا ونساء نسأل الله العافية .

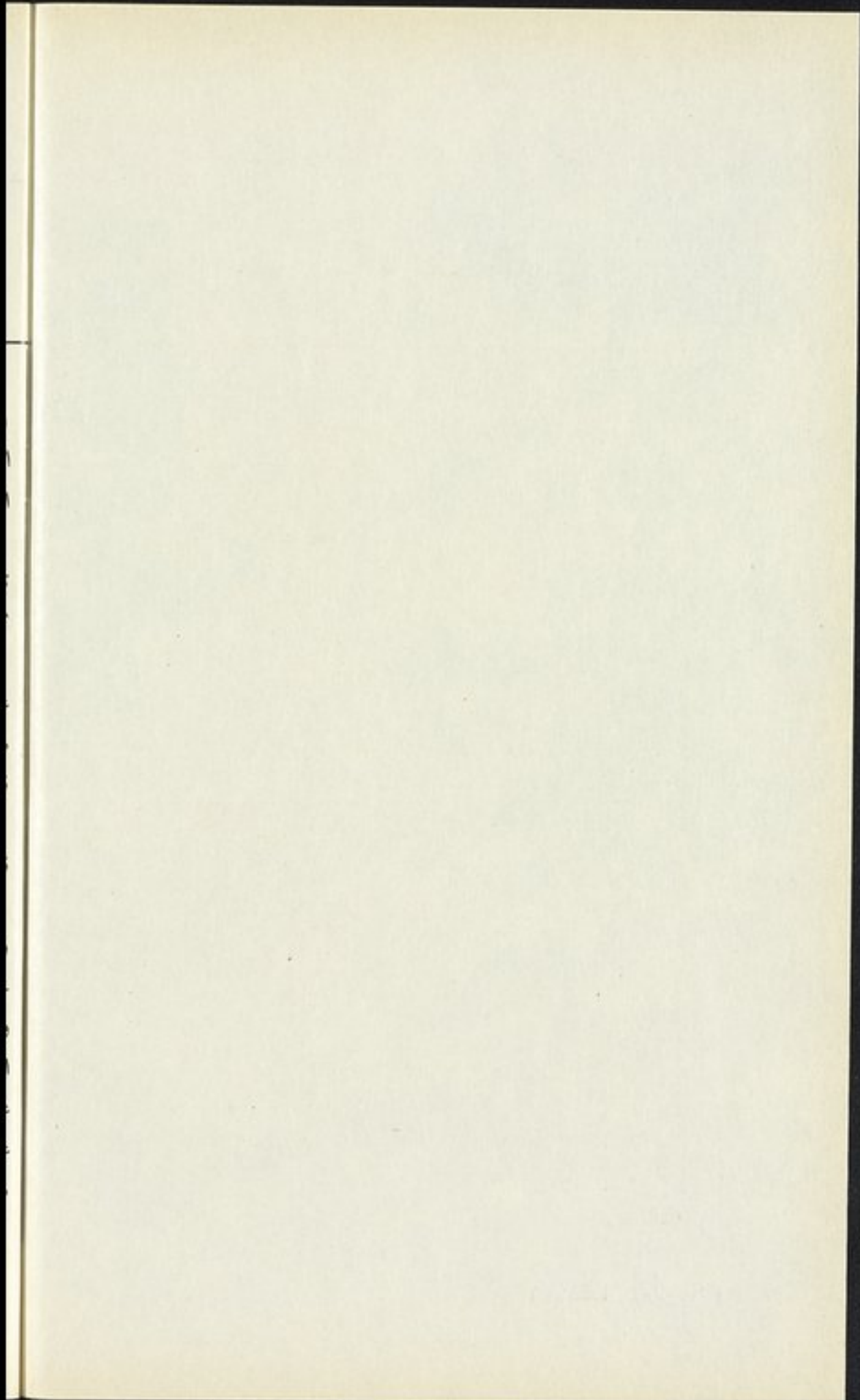
وفى سنة سبعين وألف كان الغلاء المفرط بالمغرب لاسيما بمراكش وهذه السنة هى المعروفة عند العامة بسنة كروم الحاج لا زالوا يضربون المثل بغلائها الى اليوم والله تعالى يحفظ المسلمين ويحلهم من كفه فى حصن حصين آمين .



تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع

وأولاه :

الخبر عن دولة الاشراف السجلماسيين من آل على الشريف وذكر نسبهم واوليتهم



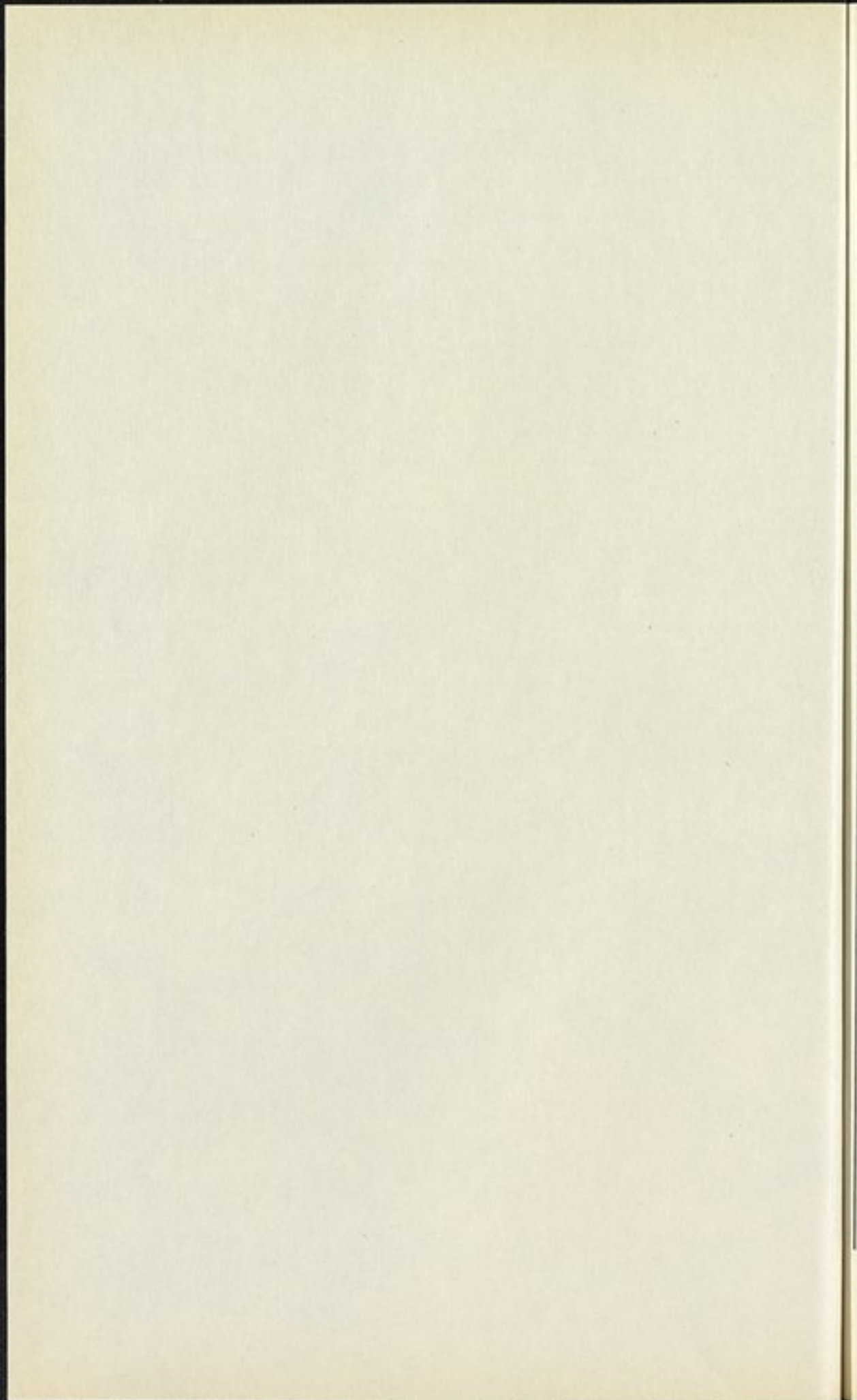
فهرس الموضوعات

- ٣ الحبر عن دولة السلطان أبى المعالى زيدان بن أحمد رحمه
الله تعالى
- ٤ انحراف مراکش عن طاعة زيدان وبيعتهم لابی فارس وما
نشأ عن ذلك من الفتنة
- ٥ نهوض السلطان زيدان لحرب أبى فارس وانهزامة بام الربيع
ثم فراره الى تلمسان
- ٧ نهوض عبد الله بن الشيخ لحرب عمه أبى فارس واستيلاؤه
على مراکش
- ٨ مجيء السلطان زيدان الى المغرب واستيلاؤه عليها وطرده
زيدان عنها
- ٩ عود عبد الله بن الشيخ الى مراکش واستيلاؤه عليها وطرده
زيدان عنها
- ١٠ ثورة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ
وانقراض امره وعود زيدان الى مراکش
- ١١ خروج جالية الاندلس من غرناطة واعمالها الى بلاد المغرب
وغيرها
- ١٢ استيلاء السلطان زيدان على فاس وفرار الشيخ بن المنصور
عنها الى العرائش ثم الى طانجة الاصبول
- ١٦ عود عبد الله بن الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها ومقتل
مصطفى باشا رحمه الله

- ١٧ تلخيص خبر ابي فارس ومقتله رحمه الله تعالى
عود السلطان زيدان الى فاس واستيلاؤه عليها ثم اعراضه عنها
- ١٨ سائر ايامه
- ٢٠ استيلاء نصارى الاصنيول على العرائش والسبب في ذلك
- ٢٢ بقية أخبار الشيخ ومقتله رحمه الله وتجاوز عنه
- رياسة ولي الله تعالى ابي عبد الله سيدي محمد العياشي على
- ٢٤ الجهاد ومبدأ امره في ذلك
- ثورة الفقيه ابي العباس احمد بن عبد الله السجلماسي المعروف
- ٢٦ بابي محلي
- نهوض ابن ابي محلي الى سجلماسة ودرعة واستيلاؤه عليها
- ٣٠ ثم على مراکش بعدها
- استصراخ السلطان زيدان بابي زكرياء يحيى بن عبد المنعم
- ٣٢ الحاحي ومقتل ابي محلي رحمه الله
- بقية أخبار أبي زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحاحي وما دار
- ٣٥ بينه وبين السلطان زيدان رحمهما الله
- انعطاف الى خبر عبد الله بن الشيخ بفاس والثوار القائمين
- ٥٢ بها وما تخلل ذلك
- ثورة محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على اخيه عبد الله بن
- ٥٧ الشيخ وما وقع في ذلك
- ٥٩ وفاة عبد الله بن الشيخ
- ٥٩ قبة الحصة بجامع القرويين
- ثورة أبي زكرياء بن عبد المنعم بالسوس ومغالته لابي حسون
- ٦٠ السجلماسي المعروف بابي دميعة على تارودانت
- ٦٩ بقية اخبار السلطان زيدان وذكر وفاته رحمه الله

- الحبر عن دولة السلطان ابي مروان عبد الملك بن زيدان
رحمه الله ٧٢
- ظهور ابي عبد الله العياشي بسلا ومبايعة اكابر عصره له على
الجهاد والقيام على الحق ٧٣
- بقية اخبار السلطان عبد الملك بن زيدان ووفاته ٧٧
- الحبر عن دولة السلطان ابي يزيد الوليد بن زيدان رحمه الله
ظهور ابي حسون السملالي المعروف بأبي دميعة بالسوس
ثم استيلاؤه على درعة وسجلماصة واعمالهما ٧٨
- بقية اخبار السلطان الوليد بن زيدان ووفاته رحمه الله ٨٢
- الحبر عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ بن زيدان
رحمه الله ٨٣
- بقية اخبار ابي عبد الله العياشي بسلا والثغور وما يتبع ذلك
وفادة اعلام فاس واشرافها على ابي عبد الله العياشي بسلا ٨٥
- ايقاع ابي عبد الله العياشي بنصاري الجديدة ٨٦
- مقتل ابي عبد الله العياشي رحمه الله والسبب فيه ٩٠
- ظهور أهل زاوية الدلاء واوليتهم بجبال تادلا وما يتبع ذلك
ذكر ما وقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين أهل
زاوية الدلاء من المراسلات والمعاتبات ٩٨
- ذكر ما دار بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين الامير
المولى محمد بن الشريف رحمهما الله تعالى ١٠٣
- وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله ١٠٧
- الحبر عن دولة السلطان ابي العباس أحمد بن محمد الشيخ
ابن زيدان رحمه الله ١٠٧

- الحبر عن دولة الشبانان بمراكش واعمالها وما آل اليه امرها
 ١٠٨ من دنورها واضمحلالها
- ١٠٩ وفاة الشيخ عبد الله بن حسون دفين سلا رحمه الله
- ١١٠ وفاة الشيخ أبي المحسن الفاسي رحمه الله
- ١١١ وفاة الشيخ ابي زيد الفاسي المعروف بالعارف رحمه الله
- ١١١ وفاة الشيخ عبد الواحد بن عاشر رحمه الله
- ١١٢ وفاة الشيخ أبي عبد الله محمد العربي الفاسي رحمه الله



آد
آم
آل
ابر
ابر
أبو
أبو
أبو
أبو
أبو
أبو
أبو
أبو
الس
أبو
٣
أبو
أبو
أبو

فهرس الاعلام والقبائل

حرف (ا)

- | | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| ١٦ - البيطار | ٤٤ آدم |
| أبو حسون السملالي ١٠ - ٤٩ - | آمنار ٥٨ |
| ٧٩ - ٧٨ | آل زيدان ١٠٨ |
| أبو الربيع سليمان بن محمد الشريف | ابراهيم بن يغزى ٤٣ |
| الزرمونى ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - | ابراهيم كانوت ٦٩ - ٧٠ |
| ٥٨ | أبو اسحق ابراهيم الصقلى ٢٠ |
| أبو زكرياء يحيى بن عبد المنعم | أبو اسحق ابراهيم الكلالي ٧٤ |
| الجاحى ٢٩ - ٣٢ - ٣٩ - ٦٠ | أبو بكر ٣ |
| ٦١ - ٦٦ - ٧١ - ٧٨ - ٧٩ | أبو بكر ابن عبد الكريم ١٠٩ |
| أبو زيد السكتانى ٣٤ | أبو بكر بن محمد - حمى - ٩٦ |
| أبو زيد عبد الرحمن الغنامى | أبو الحسن على بن حرزهم ٥٦ |
| - رحو - ٨٦ - ٨٧ | أبو الحسن على بن الطيب ٨٢ |
| أبو زيد عبد الرحمن الفاسى ١٤ | أبو الحسن على بن عبد الله |
| ٥٨ - ١١١ | السجلماسى ٢٦ |
| أبو سالم العياشى ٩٢ | أبو الحسن على بن عمران السلاسى |
| أبو سلهم ٩٥ | ١٤ - ٣ |
| أبو العباس احمد بن ادريس | أبو الحسن على بن محمد الادريسى |
| العمرانى ٢١ | - ابن ريسون - ٥٧ |
| أبو العباس احمد بن زيدان ١٠٧ - | أبو الحسن على بن محمد السملانى ٦٠ |
| ١٠٨ | أبو الحسن على بن يوسف الاندلسى |
| أبو العباس احمد بن محمد الفرديس | |
| التغلبى ٢٣ | |

- ٥٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ | أبو العباس أحمد بن منصور العليج ٤
 ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ | أبو العباس أحمد بن يوسف
 ٩٠ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ | الفاسي ٢٢ - ٩٦
 ٩٧ - ٩٩ | أبو العباس أحمد التواتي ٢٨
 أبو عبد الله محمد بن أحمد | أبو العباس أحمد الحسنی - ادفال - ٣٥
 المسناوي ٩٦ | أبو العباس أحمد الدغوي ٩٣
 أبو عبد الله محمد المكلاتي ٨٩ | أبو العباس أحمد السملالي ٧٨
 أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة | أبو العباس أحمد المقرئ ٢٢
 الفاسي ٨٥ - ٩٣ - ٩٦ | أبو العباس أحمد المریدی ٣٤
 أبو عبد الله محمد بن قاسم | أبو العباس أحمد النقيس ٢٢ -
 القطار ٣ - ٤ - ٦ - ٧ - ١٤ | ٥٨
 أبو عبد الله محمد بن مبارك | أبو العباس الاعرج ١٠
 الزعري ٢٧ | أبو العباس بن أبي محلي ٣٠
 أبو عبد الله محمد بن ناصر | أبو العباس الخضر غيلان الجرفظي ٩٤
 الدرعي ٩٤ | أبو العباس السبتي ٥ - ٣٣
 أبو عبد الله محمد بن يحيى | أبو العباس السوداني ٢٨
 أجانا ١٠٥ - ١٠٧ | أبو العباس الصومعي ٧١
 أبو عبد الله محمد الحاج الدلائي | أبو العباس المنجور ٢٨ - ٣٥
 ٩٧ - ٩٩ | أبو عبد الله بن حكيم ١١١
 أبو عبد الله محمد الجنان ٢٢ | أبو عبد الله بن سودة الفاسي ١٠٥
 أبو عبد الله محمد الشرقي ٩٦ | أبو عبد الله الرجراجي ٧٢
 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر | أبو عبد الله محمد بن أبي بكر
 زيدان ٨٣ | الدلائي ٨٣ - ٩٠ - ٩٣ -
 أبو عبد الله محمد العربي | ٩٤ - ٩٦ - ٩٨ - ١٠٠
 الفاسي ٧٤ - ٧٦ - ٩٣ - | أبو عبد الله محمد بن أحمد المالكي
 ١١٠ - ١١٢ | العياشي ٢٤ - ٢٥ - ٥٠ - ٥١

- أبو عبد الله محمد اللطفي
- المربوع - ٥٣ - ٥٤ - ٥٦ -
٥٨
أبو عبد الله محمد المزوار
المراكشي ٩٨ - ١٠٠ - ١٠٧
أبو عبد الله محمد المكلاني ١٥
أبو عثمان سعيد الجزائري
- قدورة - ٣٠
أبو علي الحسن الزياتي ٢٢
أبو عمرو القسطلي ٣٣ - ٤١ -
٩٦ - ٩٩
أبو فارس بن المنصور ٤ - ٥ - ٦
٧ - ١٣ - ١٦ - ١٧
أبو القاسم بن ابراهيم ٩٩
أبو القاسم بن ابي النعيم ٣ - ٤ -
٦ - ٢٠ - ٥٨
أبو الليف ٢٣
أبو المحاسن يوسف بن محمد
الفاصي ١٤ - ١١٠ - ١١١
أبو محلي أحمد بن عبد الله - ٢٣ -
٢٦ - ٢٨ - ٣١ - ٣٢ -
٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٤٠ - ٤١ -
٤٢ - ٤٧ - ٤٩ - ٦٢ - ٦٤
٦٥
أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن
قاسم الفشتالي ١٧
- أبو محمد عبد الله بن أحمد الخالدي
- ابن حسون ١٠٩ -
أبو محمد عبد الله العياشي ٨٦ - ٩٥
أبو محمد عبد الله الهبطي ٣٨ - ١١٠
أبو محمد عبد الواحد بن عاشر
٧٤ - ٧٦ - ٩٣ - ٩٦ - ١١١
أبو محمد العربي الفاسي ٢٣
أبو محمد الغزواني ١١٠
أبو مروان عبد الملك بن
زيدان ٥٠ - ٥٩ - ٧٢ - ٧٧ - ٨٢
أبو المعالي زيدان بن أحمد المنصور
السعدي ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ -
٨ - ٩ - ١٠ - ١٢ - ١٣ -
١٤ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ -
٢٤ - ٢٥ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ -
٣٤ - ٣٦ - ٣٩ - ٥١ - ٥٢ -
٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٨٧ -
٧٨ - ٧٩ -
أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن
السكراني ٦١ - ٧٨ - ٧٩ -
٨٨ - ١٠٧ -
أبو الوفاء اسماعيل الدكالي ٩٣
أبو يزيد الوليد بن زيدان ٧٢ - ٧٧ -
٧٨ - ٧٩ - ٨٢ - ٨٣ -
٨٤ - ٩٨ - ١٠٠ -
أبو يعزى ٢٧ - ٧١ -

أحمد بن موسى الجزولي ٤١-٨٠

أحمد الشريف ٤٧

أحمد المنصور السعدي ٣-٤-

٥-٧-١١-٢٧-٧٠-

٧١-١٠٣-١٠٤

الادارسة ٢٦

ادريس ١٩

ادريس بن احمد الجوطي

العمراني ٣٤

الاروام ٤٦

اسماعيل بن الشريف ٦٩-٨٢

الاصبنيول ١٨-٢٠-٥٠-٧٠-

الافليشي ٢٣

الانجليز ٤٩

اندلس سلا ٧٣

أهل آزمور ٤٣-٤٦-٨٦

أهل الاندلس ١١-٥١-٥٨-

٥٩-٦٠-٧٥-٧٦-٩٠-٩٢

أهل بدر ٦٦-٩٤

أهل بلاد الهبط ٥٧

أهل تارودانت ٦٦

أهل تلمسان ٣٠-٥٢

أهل الجزائر ٧٥

أهل الحرة ٣٩

أهل الحلق ٧٥

أهل درعة ٦٦

ابن أبي الجواد ٦٤

ابن أبي محلي ٢٩

ابن الأشعث ٣٩-٥٧

ابن حسون ١١٠

ابن حسين ٤١

ابن الخطيب ١١٠

ابن خلدون ٩٦

ابن شقراء ٤١

ابن الرومي ٤٤

ابن الزين ٨٩

ابن عبد الواسع ٤٩

ابن عبود ٧٦-٧٧

ابن عربي الحاتمي ٤٤

ابن عسكر ١٠٣

ابن عطية ٧١

ابن القاضي المكناسي ١٠٣

ابن المجراء ٢٢

ابن المعتز ٤٤

ابن اليسع ٢٦

ابن يعقوب اوزال ٤٢

ابن يعلى ٥٨

الابسي ٤٢

الانراك ٤٥

أحمد الأشهب ٥٨-٦٠

أحمد بن زيدان ٧٢-٧٣-٧٥

أحمد بن عميرة ٥٦-٨٩

أولاد سجير ٧٤
أولاد زيدان ٧٨
أولاد القاضي ٢٦

حرف (ب)

بابا أبي فارس ٤٩
الباشا جؤذر ٤ - ٥ - ٧٢
الباشا محمود ٧٣
برابرة مجاط ٩٦
برابرة ملوية ٩٨
البربر ٣٤ - ٤٩ - ٧٣ - ٧٦
البرتقال ٢٣ - ٥٠ - ٨٨
بنو جرار ٣٢
بنو حسن ٥٦
بنو سعد بن بكر ١٠٠ - ١٠٣
بنو العباس ٢٦
بنو كنسوس ٣٢
بنو مالك ٧٦
بنو موسى ١٠٠

حرف (ت)

التاغى ٧٦ - ٩٢
التباع ١١٠
الترك ٤٦ - ٤٧ - ٧٠

أهل الدلاء ٩٠ - ٩٧ - ٩٨
أهل زاوية الدلاء ٨٤ - ٩٦ -
١٠٠ - ١٠٢

أهل سلا ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٧٤

أهل سلاس ١٠٩

أهل الطالعة ٥٧

أهل العدو ١٨ - ٥٨

أهل عدوة الاندلس ٥٨

أهل عدوة اللطيين ٥٩

أهل العدوتين ٥٨

أهل الغرب ١٠٥

أهل غرناطة ١١

أهل فاس ٤ - ٦ - ٨ - ١٢

١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٥٣ -

٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٩ - ٧٥

٨٥

أهل الفحص ٢٥

أهل مراکش ٤ - ٥ - ٦ - ٧ -

٩ - ١٠ - ٤٩ - ٦٥ - ١٠٩ -

أهل المغرب ٦ - ١١ - ٤١ -

٧٦ - ٩٧

أولاد ابن عزيز ٢٤ - ٩٢

أولاد ابن اليسع ٢٦

أولاد أبي عزيز ٨٧

أولاد أبي الليف ٥٤

أولاد نؤيب ٨٧

الحيزران ٥ - ٦ - ٢٢

حرف (د)

الديريون ٢٢

الدخيسي ٧٦

دكالة ٥١

الدولة السعدية ١٠٤ - ١٠٨

دولة الشبانان ١٠٩

الدولة الشريفة ٤٥

حرف (ر)

الرشيد بن الشريف السجلماسي ٥٩

١٠٩

رضوان الجنوي ٥٨

روضة ابي الشتاء ٩٢

حرف (ز)

الزرهوني ٤١

الزعروري ٥١

الزمخشري ٧١

زيدان بن ابي محلي ٣١

حرف (س)

سالم السنهوري ٢٨

سانطو ٩٢

سخنون ٤٣ - ٥٤

حرف (ج)

جوذر ٧٨

الجزولي ١١٠

جلال الدين السيوطي ٦٠

جلول بن الحاج ٥٩

الجوهر ٥

حرف (ح)

الحاج احمد بن عاشر ٩٥

الحاج علي سوسان ٥٨

الحاج المير ٣٠

الحجاج ٣٩ - ٦٢

الحسن البصري ٣٩

الحسن بن علي ٦٦

حمو بن عمر ١٧ - ٥٦

أبو دبيرة حمو ٢١

الحناشة ٤٣

الحنفيه ٤٢

الحياينة ٧٤ - ٨٥

حرف (خ)

الخروبي ٣٣

الخضر ٤٤

الخلط ٧٦

خوان ٨٨

عبد السلام بن ميثم ٥٧
 عبد الصادق ٣٧ - ٤٨
 عبد الصادق بن ملوك ٤١
 عبد الصمد ١٨
 عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي
 ١٧ - ٧٢
 عبد العزيز بن محمد الثعلبي
 ٧٠ - ٧٢
 عبد العزيز القسنطيني ٤١
 عبد القادر ٤٩
 عبد الكريم بن أبي بكر الشباني -
 كروم الحاج ١٠٨ - ١٠٩
 عبد الكريم بن الشيخ ٤١
 عبد الكريم بن مومن العليج ٤١
 عبد الله اعراس ٨
 عبد الله بن الشيخ ٨ - ٩ - ١٠
 ١٢ - ١٣ - ١٦ - ١٨ - ١٩
 ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٦ - ٥٨ - ٥٩
 عبد الله بن طاهر ١٠٣ - ١٠٤
 عبد الله بن المنصور - الزبدة - ٣٠
 عبد الله السعدي ٤١ - ٤٤ -
 ٤٨ - ٧٠
 عبد الله بن محمد المسناوي ١٠٢
 عبد الملك بن مروان ٣٩
 عبد الملك الغازي السعدي ٤٠ - ٧٠
 عبد مناف ٦٨

سعد بن أبي وقاص ٨٧
 سعيد بن جبير ٣٩
 سعيد الدكالي ٦٩
 سكتانة ٦٦
 سفيان ٣٨ - ٥٠
 السنوسي ٥١

حرف (ش)

الشادلي ٥٨
 الشافعية ٤٢
 الشاوية ٦٩
 الشبانة ٣٢
 الشبانان ٦ - ١٠٧ - ١٠٨ -
 ١٠٩
 شراقة ١٨ - ٥٢ - ٥٥ - ٨٥
 الشيخ بن زيدان ٨٢ - ٨٣
 الشيخ كدار ١٩

حرف (ص)

الصديق ٣٩

حرف (ع)

العباس بن عبد المطلب ٢٦
 عبد الخالق ٩٩
 عبد الرحمن الخنادقي ٥٦

حرف (ف)

- الفشانة ١٠٣
التفضيل بن عياض ٣٨ - ٥٠
الفرنج ٥٠
فليس الثالث ٥٠

حرف (ق)

- القبائل السوسية ٧٨
القبطان مراد ٤٦
القرافي ٩٩

حرف (ك)

- الكرنى ٢١
الكدارة ٩٢
الكليم ٤٤

حرف (ل)

- اللمطيون ٥٥ - ٥٦ - ٥٨
٥٩ - ٦٠
لوز البرتقالى ٣١ - ٦٩
لوز مارية ٨٨

حرف (م)

- مالك ٣٨ - ٥٠
المأمون بن المنصور الشيخ - ٥

عبد المومن بن ساسى ٤٨

عبد المومن بن على ٤٥

عبو وبها ٧٣

العبيديون ٢٦

عثمان ٣٩

عثمان داي ١٢

العثمانى ٧٠

العجم ٤٦

عجيب ٥٢ - ٧٣

العرب ١٨ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٦

٤٧ - ٧٣ - ٧٦

عرب افريقية ٤٣

عرب الحياينة ٢٠ - ٧٤

عرب السوس ٢٧

عرب الغرب ٧٤

عرب معقل ١٠٨

العلاء بن الحضرمى ٨٧

العلوج ٧٧ ٨٣

العلويون ٢٦

على ٣٩

على بن سعيد ٦٠

على بن عبد الرحمن ٥٨

عمر ٦٦

عيسى بن عبد الرحمن ٨١

مسعود بن عبد الله ٥٨	٢٠-١٩-١٨-١٧-١٢
مسعود الشراط ٥٩	٦٦-٥٤-٤٨-٤١-٢٢
مسفوية ١٧	مامى العليج ٥٨
مصطفى باشا ٩-١٣-١٦-	الماوردي ٤٦
١٨-١٧	مبارك السوسي ١٠١-١٠٠
مصطفى صولجي ٤٧	محمد باشا العليج ٧٨
معاوية ٤٠-٦٨	محمد بن ابي بكر الدلاني ٢٨
المقدم ابو الليف ٢٢	محمد بن ابي عمرو ٤٨
المقدم النقيس ٢٣	محمد بن ابراهيم الشيطمي ٤١
الملاقة ٣٤	محمد بن الحسن بن ابي القاسم ٣٨
المنتصر ٩٩	محمد بن سليمان النمطي
منصور العكاري ٤٩	- الافرع - ٥٨
منويل ٢٣-٧٧-٨٢-٨٤	محمد بن الشريف السجلماسي ٨٨
١٠٩	١٠٨-١٠٥-١٠٣-١٠١
المواق ٤٢	محمد بن الشيخ - زغودة - ٥٧
	٧٢
حرف (ن)	محمد بن عبد المومن بن محمد
الناصر بن الزبير ٧٤	الشيخ ١٠
التجليز ٩٤	محمد السنوسي ٢٥
النصاري ١١-٢١-٢٧-	محمد الشرقي ٤١
٤٥-٥٠-٥١-٦٩-٧٤	محمد الشيخ بن زيدان السعدي ٧٢
٧٥-٧٦-٨٧-٩٠-	٩٧-٩٨-١٠٢-١٠٣-
٩٢-	١٠٤-١٠٧-١٠٨
نصاري الجديدة ٢٤-٢٥-٧٠	محمد الشريف ٧٩
حرف (هـ)	محمد الفزاري ٩٢
الهبطي ٤١	المرابط الاندلسي ٤١

هشوية ٣٢

حرف (و)

الوطاسيون ٥٠

ولد آصناك ٤١

حرف (ي)

يحيى اجانا الوزكيتي ٧٢ -

١٠٧ - ٧٨

يحيى بن عبد الله بن بن سعيد

الحاحي ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ -

١٣٦ -

بزرور ٥٨

يزيد بن معوية ٣٩ - ٤٠

اليفرنى ٣٣ - ٣٤ - ٥٩ - ٦٠

٧٠ - ٧١ - ٧٦ - ٩٥ -

٩٦ - ٩٨ - ١٠٨

اليوسى ٢٨ - ٣١ - ٩٧ - ١١٠

يونس الايسى ٣٠

يونس اليوسى ٤٢ - ٤٣

اليهود ٨١

فهرس الاماكن

حرف (ا)

البرج الجديد ٥٦	آزمور ٢٤ - ٢٥ - ٣٧ - ٥٠
بر العدو ٣١	٥١ - ٦٩ - ٨٦ - ٨٧
بلاد تلمسان ١١	آسفى ٣٧ - ٨٢
بلاد الخلط ٩٢	أرض المغرب ٥١
بلاد دكالة ٦٩ - ٧٠ -	ادخسان ١٨ - ١٩
٩٢ - ٩٣	الاسكندرية ٩٢
بلاد الريف ٢٠	افريقية ١٢ - ٤١
بلاد الغرب ١٢ - ٧٢ - ٩٤ -	اكلميم ٧
٩٥ - ٩٨	أم الربيع ١٩ - ١٠٢
بلاد فارس ٨٧	ام كرس ٦٩
بلاد الفحص ٢٢	الاندلس ١١ - ٥١ - ٦١
بلاد المغرب ١١ - ٨٤	ابلنج ٧٩ - ٨١ - ١٠٢
بلاد الهبط ٥٢	
بور كراك ١٣	
اليضاء ١٠٢	

حرف (ب)

	باب الجيسة ٥٣
	باب الخميس ٨٤
	باب السبع ٥٦
	باب السلسلة ١٨
	باب الفتوح ١٦ - ٥٤
	باب المسافرين ٥٣
	باب المعلقة ٧٥
حرف (ت)	
تارودانت ٦١ - ٦٤ - ٦٨	
تازا ٧٣ - ٨٤ - ٩٩	
تادلا ٤ - ٧١	
تافلقت ٩	
تامسنا ١٩ - ٧٣ - ٨٤ - ٨٦	

حرف (ح)

- حجر باديس ٢٠
الحرم الشريف ٣٩
حلق المعمورة ٧٤ - ٧٦
الحمراء ١٠٢
حوانة ٥
الحياينة ٨٦

حرف (خ)

- الخدق ٧٥
خولان ٥٤

حرف (د)

- دار ابن مشعل ١٦
دار القيطون ٥٤
دجاجة ٨٧
درعة ٨ - ٣٥ - ٥١

حرف (ر)

- رأس الماء ١٩
رأس العين ٤٩
الراشدية ٣٠
الرباط ٨٤
روضة أبي الشتاء ٩٢

تطاوين ١٢ - ١٩ - ٢٢ - ٢٣

تلمسان ٦ - ٨ - ١١ - ٣٧ -

١٠٣ - ٥٣ - ٥٢

تونس ١١ - ١٢ - ٤١

تيسط ٨٢

حرف (ث)

ثغر آسفي ٣١

حرف (ج)

جامع القرويين ١٤ - ٥٤ - ٥٥ -

٦٠ - ٧٨

جبال الزيب ٥٦

الجبل الاخضر ٦٩

جبل الحديد ٨٤

جبل جليز ١٠

جبل درن ٣٢ - ٣٥

الجزائر ٨ - ١٢ - ٩٠

جزيرة الاندلس ١٢

جزيرة العرب ٧٠

جزيرة قادس ٥٠

الجديدة ٣١ - ٦٩ - ٨٧ - ٨٨

جنان بكار ٨

حرف (ش)

الشام ١٢ - - - - -

السياظمة ٨٤ - - - - -

- - - - -

حرف (ص)

صهاجة ٩٦

حرف (ط)

طنجة ٢٣ - ٧٥ - ٨٩

حرف (ع)

العرائش ١٣ - ١٨ - ١٩ -

٢٠ - ٢١ - ٣٠ - ٥٠ - ٥٤

٨٧ - ٨٩ -

العراق ٣٩

عين السبع ٧٥

عين القصب ٩٢

حرف (غ)

الغرب ٣ - ٨ - ١٩ - ٢٧ -

٤٣ - ٤٨ - ٩٤ - ٩٩ -

١٠١ - ١٠٢ -

عرناطة ١١

حرف (ز)

زاوية الدلاء ٩٠

زاوية القاضي ٢٦

الزرباطنة ٥٨

زرهون ٥٦

زداغة ٣٥

حرف (س)

ساحل البحر المحيط ٨٢

ساحل الرمل ٧٥

سجلماة ٨ - ٢٦ - ٢٧ - ٣٠ -

٤٧ - ١٠٠ - ١٠٢ -

سلا ١٢٩ - ٢٤ - ٢٥ - ٥٠ -

٥١ - ٥٣ - ٧٥ - ٧٦ - ٨٤ -

٨٥ - ٨٦ - ٨٨ - ٩٢ - ٩٥ -

١٠٩ - ١١٠ - ١١٢ -

سلاس ١٠٩ - ١١٠ -

السودان ٥ - ١١ -

السوس ٨ - ١٣ - ١٧ - ٣٥ -

٤٧ - ٤٨ - ٦٠ - ٧٩ -

١١٠

سوق العطارين ١٠٠

سويقة ابن صافي ٨٩

حرف (ك)

كانغوه

كريكرة ٢٧

حرف (ل)

لمطة ٥٥

حرف (م)

المدائن ٨٧

المدرسة العنانية ٥٨

المدينة المشرفة ٩٢

مراكش ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٩ -

١٠ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٦ -

١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٥ - ٣٠ -

٣١ - ٣٢ - ٣٤ - ٣٧ - ٤٧ -

٤٨ - ٦٠ - ٦١ - ٦٥ - ٦٩ -

٧٠ - ٧٢ - ٧٧ - ٧٨ - ٨٣ -

٨٤ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٦ - ١٠٢ -

١٠٣ - ١٠٧ - ١٠٨ -

١٠٩ - ١١٢ -

مرسى الخلق ٥٥

مسجد الجرف ٥٥

مرس الرماء ٧ - ١٣ -

المسرة ٨٢

مسفوية ٧ - ١٣ -

حرف (ف)

فاس ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ -

١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ -

١٤ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ -

٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٦ -

٢٧ - ٣٤ - ٣٥ - ٥٥ - ٥٧ -

٥٨ - ٥٩ - ٧٠ - ٧٢ - ٧٨ -

٨٤ - ٨٥ - ٨٩ - ٩٧ - ١٠٣ -

١٠٩ - ١١٠ - ١١١ -

فاس الجديد ١٤ - ٥٤ - ٥٦ -

٥٨ - ٧٣ -

الفحص ٢٢ - ٢٥ -

فم تانوت ٣٢ -

حرف (ق)

قبور الاشراف ١٠٧ -

قصة مراكش ١٠٧ -

القسطنطينية ١٢ - ٧٠ -

قنتالة ١١ -

القصر الكبير ١٣ - ٢٠ -

القرويين ٥٦ -

قلعة سلا ١٢ -

قنطرة المهدومة ١٨ -

حرف (و)

وادي ام الربيع ٥ - ١٩ - ٨٧	مشرع أبي الاعوان ٨٧
وادي بوركراك ١٢	المشرق ٦ ٤
وادي بهت ٥٧	مصر ١٢
وادي الساورة ٢٨ - ٣٠	المعمورة ٥٠ - ٥١ - ٧٤
وادي الطين ٥٧ - ٩٤	المغرب ٤ - ١١ - ٢٦ - ٤٠ -
وادي فاس ١٨	٤٣ - ٤٥ - ٤٧ - ٦٠ - ٦١
وادي العرائش ٧٧	٦٥ - ٧٠ - ٧٨ - ٨١ - ٩٢
وادي العيد ٩٨ - ٩٩ - ١٠٢	٩٧ - ٩٩ - ١١٢
وادي المخازن ٢٧	المغرب الأقصى ١٢ - ٢٧
وجدة ١٠٠	مكة ٩٢
الوليدية ٨٢	مكناسة ٣ - ٤ - ٥٧ - ٥٨ - ٩٧
وهران ١١	ملوية ١٠١
	المهدية ٥٠

1850 - 00 YA

1851 - 01 YA

1852 - 02 YA

1853 - 03 YA

1854 - 04 YA

1855 - 05 YA

1856 - 06 YA

1857 - 07 YA

1858 - 08 YA

1859 - 09 YA

1860 - 10 YA

1861 - 11 YA

1862 - 12 YA

1863 - 13 YA

1864 - 14 YA

1865 - 15 YA

1866 - 16 YA

1867 - 17 YA

1868 - 18 YA

1869 - 19 YA

1870 - 20 YA

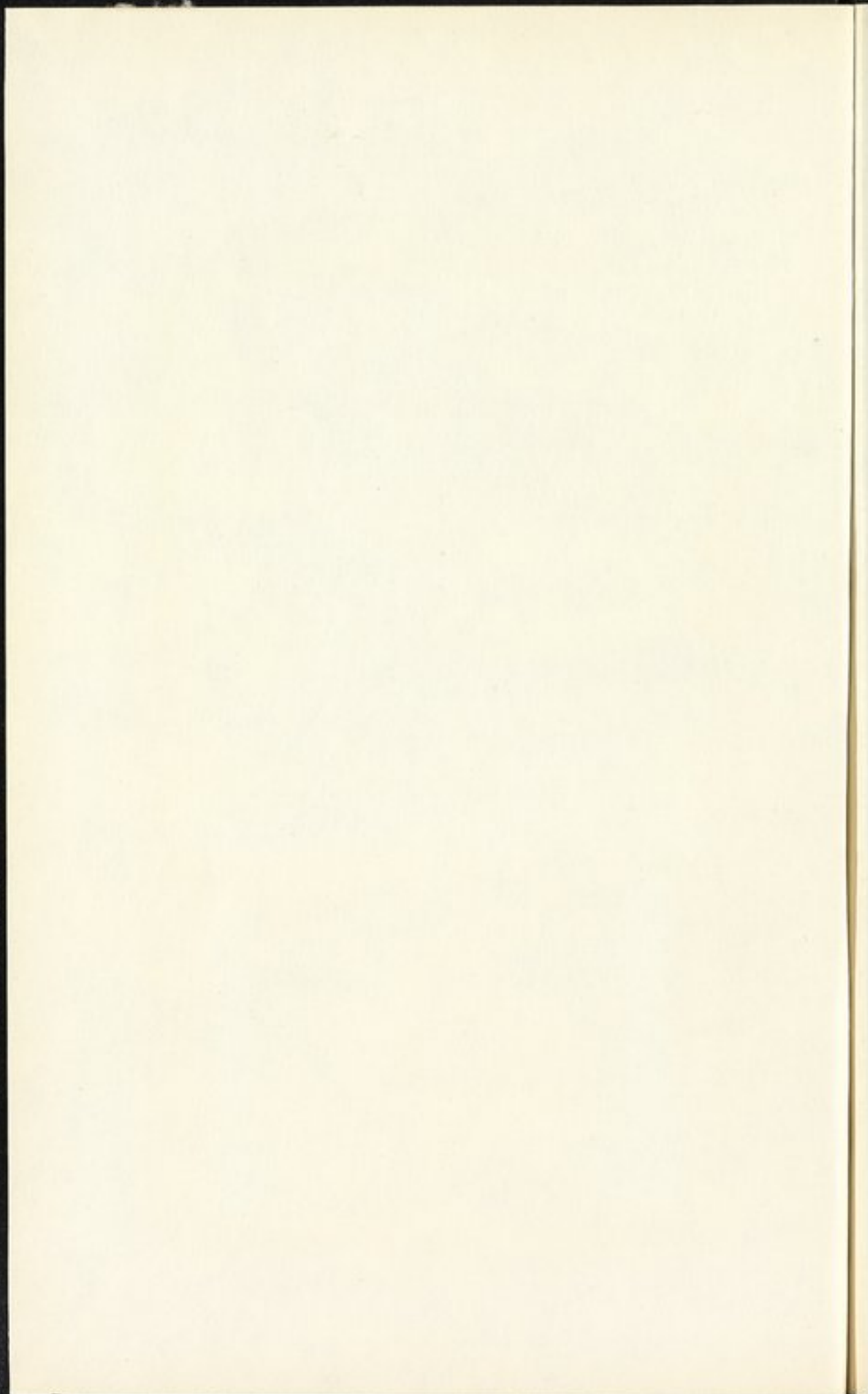
1871 - 21 YA

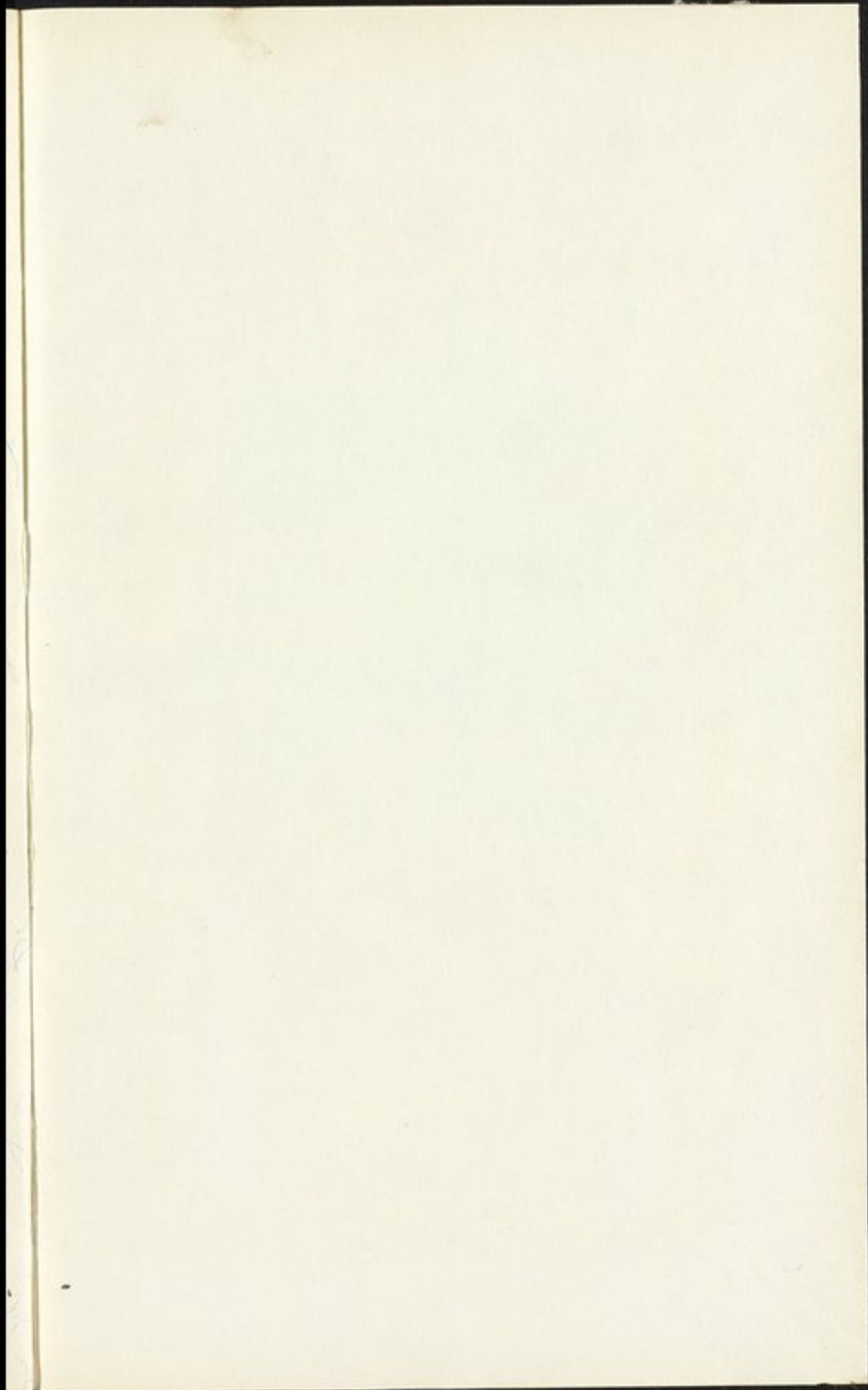
1872 - 22 YA

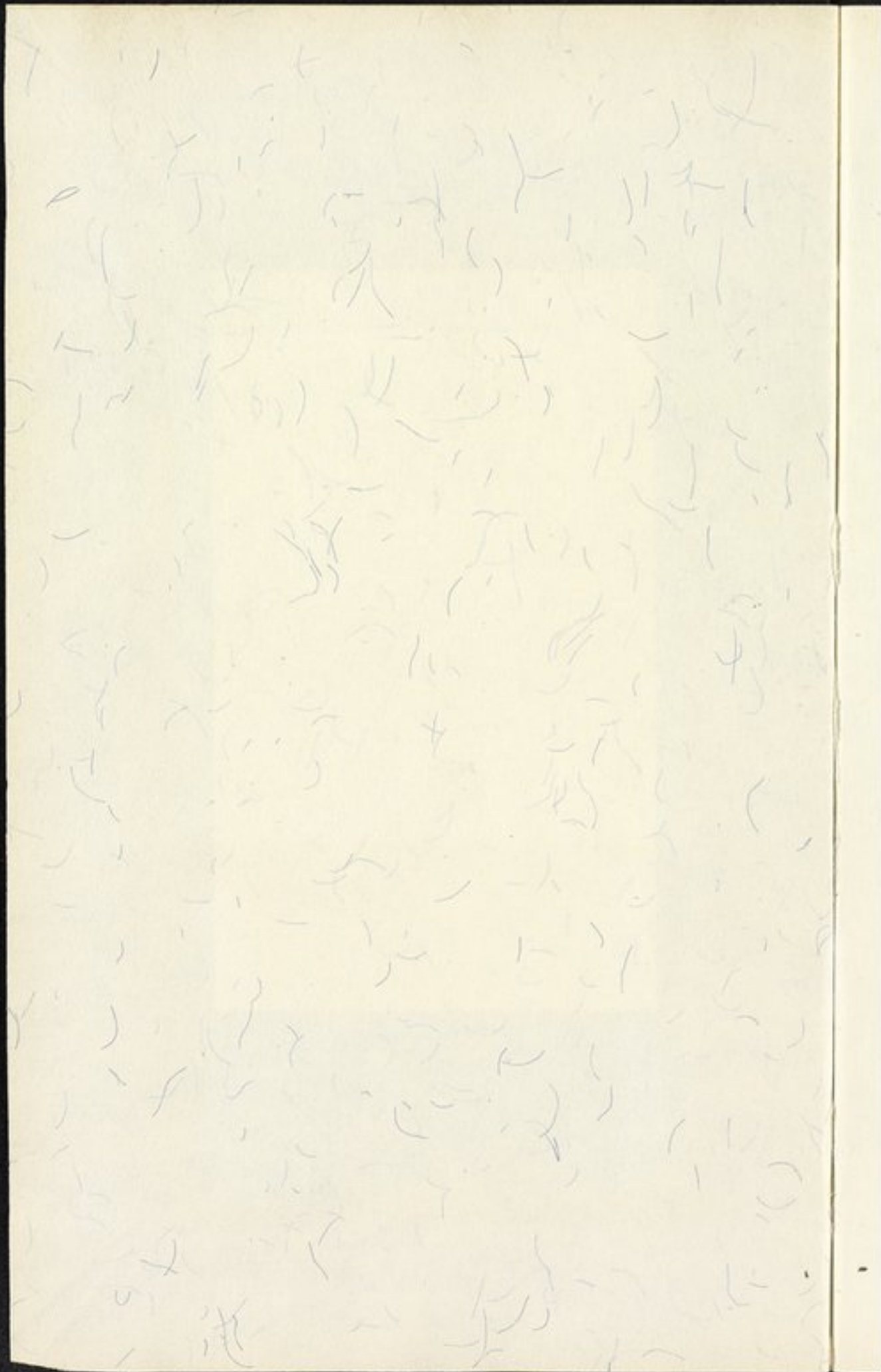
1873 - 23 YA

1874 - 24 YA

1875 - 25 YA







DUE DATE

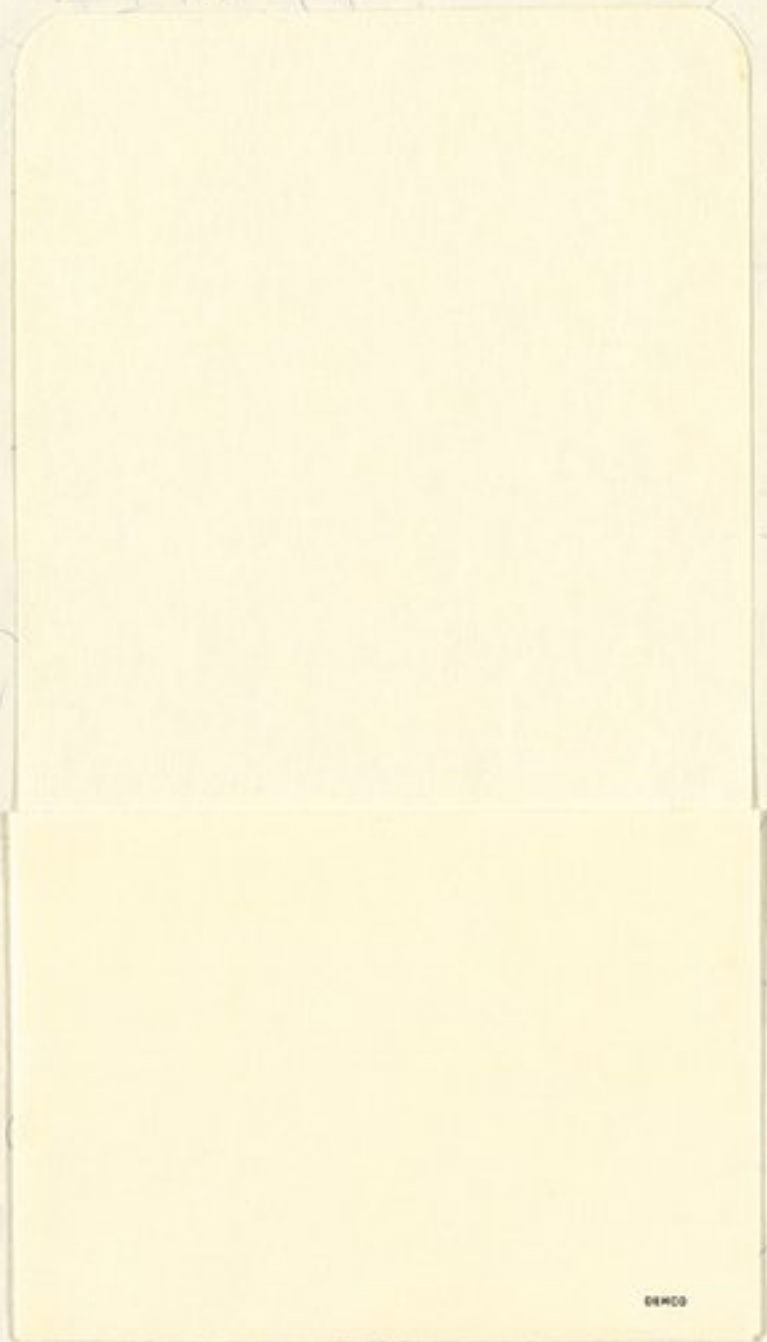
DEC 27 1999

201-6503

Printed
in USA

14012995
COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

* 0114012995 *
BUTLER STACKS



64M09

FEB 4 1978 SEP 7 1967

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU17934842

Small, illegible white label on the spine edge.